التعليم عن بعد

محتوى

نظرية المعرفة

لـ د. بدران مسعود بن الحسن

IbtiHAlinO

للحصول على الملزمة من الإنترنت : Ibtihalino.blogspot.com

المحاضرة التمهيدية

- منذ خلق الله الإنسان زوده بجملة من المعارف يعرف أنه سيحتاج إليها في مسيرته لتحقيق الاستخلاف. وهذا ما عبر عنه القرآن الكريم في قوله تعالى:" وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضها على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء ان كنتم صادقين قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا انك أنت العليم الحكيم" سورة البقرة.
ووهب الإنسان عقلا وهو يعلم أنه سيحتاج إليه في شتى مظاهر حياته اليومية. كذلك نزل عليه كتب الوحي ليمده بمعارف ما كان بإمكانه الحصول عليها لولا الوحي. و بث في الكون و الطبيعة من الآيات و العلامات و الظواهر الطبيعية ما يساعده على اكتشاف أسرار الكون و إدراك قوانين الطبيعة و كل ذلك يدل على أن حياة الإنسان لا يمكن أن تستقيم دون معرفة .

مسوغات المقرر:
تأصيل المعرفة و العلوم من خلال :
دراسة مناهج المعرفة و نظرياتها و التعرف على أعلامها و اتجاهاتها المعاصرة

محتوى المقرر :
يحتوى المقرر على ١٤ محاضرة موزعة على ١٤ أسبوع.
المعرفة و أنواعها – المعرفة و فلسفة العلم - نظرية المعرفة (نشأتها و مبادؤها)– مصادر المعرفة – ضوابط المعرفة – مناهج المعرفة (المنطق الصوري و المنطق الرمزي) - مناهج المعرفة (المنهج الجدلي و المنطق الاشراقي) - مناهج المعرفة (المنهج التجريبي) –– أشهر أعلامها (ابن سينا و ابن عربي) – أشهر أعلامها (الغزالي و ابن رشد)، أشهر أعلامها (كانط وهيجل و باشلار) – الاتجاهات المعاصرة في نظرية المعرفة.

أهداف المقرر:
يتوقع في نهاية تدريس المقرر أن يكون الطالب قادراً على أن :
- يبرهن أمورا افتراضية معتمدة على مناهج المعرفة : (التّجريبيّة و الصورية و الرمزية و الجدلية)
- يميز بين اتجاهات المعرفة.
- يبين مناهج المعرفة في مختلف الاتجاهات٠
- يحلل النصوص المختارة لاتجاهات المعرفة.

طرائق التدريس و الأنشطة المصاحبة :
-استخدام طريقة الإلقاء و المحاورة عند عرض المادة العلمية.
-فتح المناقشة في القضايا المطروحة عن طريق مشاركة الطلبة في إنضاج الموضوعات في منتدى النقاش الخاص بالمقرر على البلاكبورد.
-تكليف الطلبة ببعض الواجبات.
- ربط المادة العلمية بمختلف مدارس المعرفة الموجودة.

مصادر المقرر و مراجعه :

المرجع الأساس :

١. نظرية المعرفة عند مفكري الإسلام و فلاسفة الغرب المعاصرين ، محمود زيدان ، دار النهضة العربية . بيروت.
٢. مناهج البحث عند مفكري الإسلام ، علي سامي النشار دار السلام بمصر.

المراجع المساعدة :

١. نظرية المعرفة المعاصرة ، صلاح إسماعيل الدار المصرية السعودية – القاهرة
٢. نقد العقل الخالص . كانط ، ترجمة أحمد الشّيبانيّ ٠
٣. الفلسفة و العلم من كانط و نيوتن إلى الوضعيّة و حدود المعرفة الإنسانيّة. عبد القادر بشتة
٤. تجديد المنهج في تقويم التراث. طه عبد الرّحمن

المعرفة و أنواعها

تمهيد :

عند الحديث عن المعرفة تبرز عدة تساؤلات : ما طبيعة المعرفة ؟ وما أنواع المعرفة ؟ وما مصادرها ؟ وما أبعادها و ضوابطها ؟ وما علاقتها بعدد من المصطلحات الأخرى ذات العلاقة ؟ وما مناهجها ؟ وغيرها من الأسئلة المتعلقة.

ما هي المعرفة؟

- المعرفة مصدر من عرف يعرف ، فهي عكس الجهل.
- و تطلق كلمة المعرفة على كل ما وصل إلى إدراك الإنسان من تصورات ، مثل المشاعر أو الحقائق أو الأوهام أو الأفكار التي قد تسهم في التعرف على البيئة من حوله و التعامل معها أو قد لا تسهم أو تضر به.
- عرف الشيء أدركه بالحواس أو بغيرها و المعرفة إدراك الأشياء و تصورها ،
- ولها عند القدماء عدة معان : منها إدراك الشيء بإحدى الحواس ، ومنها العلم ، مطلقا تصوراً كان أو تصديقاً ، ومنها إدراك البسيط سواء كان تصوراً للماهية أو تصديقاً بأحوالها ، ومنها إدراك الجزئي سواء كان مفهوم جزئياً أو حكماً جزئياً ، ومنها إدراك الجزئي عن دليل ، ومنها الإدراك الذي هو بعد الجهل.
- كما يمكن تعريفها بأنها " مجموعة من المعاني و المفاهيم و المعتقدات و الأحكام و التصورات الفكرية التي تتكون لدى الإنسان نتيجة لمحاولاته المتكررة لفهم الظواهر و الأشياء المحيطة به "

و يطلق لفظ المعرفة عند المحدثين على أربعة معانٍ :

الأول هو الفعل العقلي الذي يتم به حصول صورة الشيء في الذهن سواء كان حصولها مصحوباً بالانفعال أو غير مصحوب به ، وفي هذا المعنى إشارة إلى أن في المعرفة تقابلاً و اتصالاً بين الذات المدركة و الموضوع المدرك و نظرية المعرفة التي سنتكلم عنها فيما بعد تدرس المشكلات التي تثيرها علاقة الذات بالموضوع .

و الثاني هو الفعل العقلي الذي يتم به النفوذ إلى جوهر الموضوع لتفهم حقيقته بحيث تكون المعرفة الكاملة بالشيء في الواقع

و الثالث هو مضمون المعرفة بالمعنى الأول و الرابع هو مضمون المعرفة بالمعنى الثاني.
وهذه المعاني وحدها كافية للدلالة على أن للمعرفة درجات متفاوتة، أدناها المعرفة الحسية المشخصة و أعلاها المعرفة العقلية المجردة .

- وهناك من يفرق بين المعرفة الحدسية المباشرة و المعرفة الاستدلالية التي تحتاج إلى وسائط و انتقالات.
  - إذا كانت المعرفة تامة كانت مطابقة للشيء تمام المطابقة و يرادفها العلم .
  - إذا كانت غير تامة كانت مقصورة على الإحاطة بجانب واحد من جوانب الشيء.
  - للمعرفة التامة صورتان: إحداهما ذاتية ، وهي التي يتم بها تصور الشيء تصوراً واضحاً دون غموض أو التباس و الأخرى موضوعية وهي التي يكون فيها تصور الشيء مطابقاً لما هو عليه في الحقيقة .
  - كثيراً ما يراد بالمعرفة مضمونها و نتيجتها ، لا الفعل الذهني الذي تتم به ، ومنه قولهم : المعارف الإنسانية.
  - جملة القول أن المعرفة تطلق على معنيين أساسيين الأول هو الفعل العقلي الذي يدرك الظواهر ذات الصفة الموضوعية و الثاني إطلاقها على نتيجة ذلك الفعل أي على حصول صورة الشيء في الذهن.

ما الفرق بين العلم و المعرفة ؟

- وفي التفريق بين المعرفة و العلم قالوا أن المعرفة إدراك الجزئي و العلم إدراك الكلي و أن المعرفة تستعمل في التصورات و العلم في التصديقات ، ولذلك تقول عرفت الله دون علمته ، لأن من شرط العلم أن يكون محيطاً بأحوال المعلوم إحاطة تامة. ومن أجل ذلك وصف الله بالعلم لا بالمعرفة ، فالمعرفة أقل من العلم ، لأن للعلم شروطاً لا تتوافر في كل معرفة ، فكل علم معرفة ، وليس كل معرفة علماً.

للوقوف على دلالات العلم و المعرفة بُغية تحديد مفهومهما يتطلب الخوض في مباحث العلماء الفكرية ، المتعددة الألوان و الاتجاهات اللغوية و العقدية ؛ لأنَّهم يتصرفون بالألفاظ و يُطوِّعون معانيها لأفكارهم و ينقلون دلالتها إلى عُرفهم لذا كان الرُّجوع إلى الأصل اللغوي مهمًّا لفهم الدلالة و تحديد الحقل الدلالي ؛ لضبط المصطلحين.

الفروق اللغوية :

- نتيجة للتداخل بين مصطلحي العلم و المعرفة ، فلا مندوحةَ من تتبُّع المصطلحين ؛ لضبط الفروق بينهما ، ولأن لكل مصطلح عَلاقة بأصله اللُّغوي ، كان لزامًا علينا الرجوع إلى المعاجم ، فكلمة "علم" قالوا عنها : " سمي العِلْمُ علمًا من العلامة ، وهي الدلالة و الإشارة ، ومنه مَعَالم الأرض و الثوب.
و المَعلَمُ : الأثر يستدل به على الطريق و العلم من المصادر التي تجمع .
و قال الزمخشري : "ما علمت بخبرك : ما شعرت به.
فيكون بمعنى الشُّعور ، و العلم نقيض الجهل ، و قال عنه الفيروز آبادي : هو حق المعرفة.
أمَّا المعرفة فهي من العُرف ضدَّ النكر و العرفان خلاف الجهل و تَعَرَّفْتُ ما عند فلان مصدره التعَرُّف : تَطَلُّب الشيء و عرَّفه الأمر : أعلمه إياه و عَرَّفه به و سَمه وجاء من المصدر "مَعْرِفة على غير القياس لفعله الذي هو على وزن " يَفْعِل " ؛ إذ إنَّ أكثره يأتي على وزن " مَفْعَل ".

- و عند ابن فارس : المعرفة و العرفان من العلم بالشيء ، يدلُّ على سكون إليه ؛ لأنَّ من أنكر شيئًا توحَّش منه و نبا عنه ،
- كما وردت بمعنى المجازاة ؛ قال الزمخشري : لأعرفن لك ما صنعت ؛ أي : لأجازيك به.
- وفي مادة عرف حروف " رفع "، ومن ثم كان هذا المعنى مناسبًا ؛ حيث وردت كلمة " المعرفة " ؛ لتدل على ما هو : " عالٍ ، مكرم ، و طيب "؛ إذ يقال للقوم إذا تلثَّموا : غطوا معارفهم ، و تقول : بنو فلان غرُّ المعارف ، و تقول : ما أطيبَ عَرْفَه ! وهو الأنف وما والاه ،
- و تطلق" معرفة " على أعراف الخيل ؛ أي : على الشعر الذي يعلو رقاب الخيل و قلة عرفاء: مرتفعة و اعْرَوْرَف البحر : ارتفعت أمواجه.
- فالمعرفة حاصلة بعد عدم ، وذاك العدم هو إمَّا لجهل أصليٍّ بالشيء أو لنسيان بعد معرفة فكان عدمًا بين معرفتين فكأنَّ الشيء كان مختفيًا عن الذِّهن ؛ ثم تجلى أمامه بارتفاعه و علوه عن غيره من المدركات في تلك اللحظة فصار مُمَيزًا و بينًا و واضحًا في الذِّهن بعد خفائه عنه لجهل أو لنسيان فهو علا في صفحة الذِّهن بعد تستره و خفائه ؛
- إذ المعرفة عِلمٌ بعَيْن الشيء مُفَصَّلاً عما سواه ؛ أي : يعلو في الإدراك ، وي ُميز عما يكتنفه من مُتشابهات ، فيتميز المعلوم من غيره،
- و سر المسألة : أنَّ المعرفة لتمييز ما اختلط فيه المعروف بغيره فاشتبه ، فالمعرفة تمييز.
- و المعرفة فعلها يقع على مفعول واحد ، فتقول : عرفت الدار و عرفت زيدًا ؛ قال تعالى : (فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ) يوسف: ٥٨.
- أمَّا فعل العلم ، فيقتضي مفعولين ؛ كقوله – تعالى : (فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ) (الممتحنة: ١٠).
- نلاحظ قربًا بين معنى العلم و معنى المعرفة ، ذلك أنَّ كلاًّ منهما يُعَدُّ علامة أو دلالة على شيء، - و إن كانت المعرفة تدُلُّ على ما ارتفع من الشيء و المعرفة بمعنى المجازاة إنَّما تتضمن العلم بحال المجازى و قدره ، وفي المعرفة علم بسبب المجازاة ، وفيها علم و عمل ، وفيها ارتفاع لقدر المعروف على العارف ، ومن ثم كانت معرفة الله : العلم اليقيني به ، و عمل ما يتناسب مع قدره سبحانه المعرفة تشمل في معانيها الاعتراف و الإقرار ، وهما علم و أدلة.

الفروق الاصطلاحية :

١.المعرفة عند البعض أخصُّ من العلم ؛ لأنَّها عِلمٌ بعَيْن الشيء مُفَصَّلاً عما سواه و كل معرفة علم وليس كل علم معرفة

٢. و المعرفة تقال فيما يُتَوصل إليه بتفكر و تدبر و تستعمل فيما تدرك آثاره ، ولا يدرك ذاته ، تقول : عرفت الله و عرفت الدار و العلم يستعمل فيما يدرك ذاته و حال الإبهام تقول : عرفت زيدًا بعد أن لم تكن ، ولا تقول : علمت زيدًا.

٣. و قيل : العلم يكون بالاكتساب ، فخصَّ به الإنسان و المعرفة بالجبلَّة ، فهي إدراك جُزئي يَحصل بواسطة ؛ لذلك يقال : عرفت الله ، ولا يقال : علمت الله ، فالعلم لما يدرك ذاته مع الإحاطة به.

٤. و قيل : العلم أخصُّ من المعرفة ؛ لأنَّها قبله ؛ إذ تكون مع كل علم معرفة ، وليس مع كل معرفة علم إلى جانب تضمنها للخبرة العملية ، فالمعرفة هي ثَمرة التقابُل و الاتصال بين الذَّات المدركة و الموضوع المدرك ، و تتميز من باقي معطيات الشعور ، من حيث إنَّها تقوم في آنٍ واحد على التقابل و الاتحاد الوثيق بين هذين الطرفين.

٥. فالمعرفة تقال على استثبات المحصول المُدْرَك خصوصًا إذا تكرر إدراكه ، فإنَّ المُدْرِك إذا أدرك شيئًا ، فحفظ له محصولاً في نفسه ثم أدركه ثانيًا و أدرك مع إدراكه له أنَّه ذلك المُدْرَك الأول ، قيل لذلك الإدراك الثاني بهذا الشرط : (معرِفة)

٦. و المعرفة عند جمهور الناس أصلها قد يقع ضروريًّا فطريًّا ، وقد يَحتاج إلى النظر و الاستدلال .

٧. و البعض يرى أنَّ المعرفة لا تكون إلا مكتسبة ، فلا يَجوز أن تقع بالضَّرورة لارتفاع الكلف.

٨. العلم يقال لإدراك الكلي أو المركب و المعرفة تقال لإدراك الجزئي أو البسيط ،

٩. و المعرفة تنصرف إلى ذات المسمَّى ، أمَّا العلم فينصرف إلى أحواله من فضل و نقص ، ولذا جاء الأمر في القرآن بالعلم دون المعرفة ، و ميز بينهما.

١٠. كما أنَّ العلم يقابله في الضدِّ الجهل و الهوى ، أما المعرفة فهي ضد الإنكار و الجحود.

الألفاظ المرادفة للعلم و المعرفة :

- أخذ العلم مفهومًا جامعًا لمعاني كثيرة ، ذلك لأنَّ العلم أو المعرفة علاقة بين عالم و معلوم و بين ذات عارفة و موضوع معروف ، فهو من جهة ذاتي ومن جهة أخرى موضوعي ؛ أي : له موضوع متحقق في الخارج .
- ثم العلم أو المعرفة درجات تبدأ من الحس إلى التجريد العقلي ثم الحفظ و التذكُّر ثم التفكر و التدبُّر.
- و للعلم درجات من حيث الشك و الظَّن و اليقين ، وفيه حركة للفكر في المعقولات ، كما أن فيه انقداحَ فكرٍ و خاطرٍ ، و سرعة بديهة و ذكاء ، وقد يكون العلم علمًا مجردًا سطحيًّا ، كما قد يكون علمًا مستغرقًا عميقًا أو فقهًا.
- لذلك كلِّه نَجد أنَّ للعلم أو المعرفة مرادفات كثيرة ، و إن كان لكل لفظ مرادف له علاقة بالعلم الشامل من جهة ما و اختصاص من جهة أخرى
- و كلها درجات للعلم في النفس تصعد و تنزل ، نُحاول ذكر أهم مرادفات العلم و المعرفة في القرآن و إن كان لكل لفظ شيء من زيادة معنى .

١. **الشعور :** و الشعور في اللغة بمعنى علم و فطن و درى و المشاعر هي الحواس ، قال الزمخشري : (وما شعرت به : ما فطنت له و علمته .. وما يشعركم : ما يدريكم) ، و الشعور : علم الشيء علم حس و الشعور عند علماء النفس: إدراك المرء لذاته أو لأحواله و أفعاله ، إدراكا مباشرا وهو أساس كل معرفة.

٢. **الإدراك :** وهو اللقاء و الوصول . فيقال أدرك الغلام و أدركت الثمرة . قال تعالى : (قال اصحاب موسى إنا لمدركون) (الشعراء: ٧١). فالقوة العاقلة إذا وصلت على المعقول و حصلتها كان ذلك إدراكا من هذه الجهة. و يطلق الإدراك كذلك على مجموعة معان تتعلق بالعلم هي : ما يدل على حصول صورة الشيء عند العقل سواء أكان ذلك الشيء مجردا أو ماديا أو جزئيا أو كلياً أو حاضرا أو غائبا.

٣. **التصور :** وهو حصول صورة الشيء في العقل . كحصول صورة القلم مثلا في الذهن فنحكم على ذلك لاشيء بأنه قلم
٤. **الحفظ :** يعرفه الجرجاني بأنه ضبط الصور المدركة.

٥. **التذكر :** الصور المحفوظة إذا زالت عن العقل و حاول الذهن استرجاعها فتلك المحاولة هي التذكر.
٦. **الفهم و الفقه :** و الفهم (تصور الشيء من لفظ المخاطب) و الفقه (هو العلم بغرض المخاطب من خطابه) و المتبادر من الفقه تأثير العلم في النفس الدافع للعمل .

٧. **العقل :** وهو العلم بصفات الأشياء. وقد استعمل القرآن كثيرا كلمة (يعقلون) بمعنى يعلمون .
٨. **الحكمة :** و للحكمة معان كثيرة. منها : العلم و الفقه وما يمنع من الجهل .
٩. و هناك ألفاظ أخرى لها صلة بالعلم و المعرفة مثل : البديهة و الكياسة و الخبرة و الرأي و الفراسة ... الخ .

أنواع المعرفة :

- تشمل المعرفة مجموع المعارف الروحية و الوثنية و الاقتصادية و السياسية و الثقافية و العلمية و .. في الوقت نفسه
- لذا توجد أنواع مختلفة من المعارف فإذا كان إدراجها ضمن فئات معينة قد شابه نوع من الاختلاف بين المفكرين إلا أن هذا الاختلاف يعود بالدرجة الأولى إلى المدرسة الفكرية التي ينتمي إليها صاحبها.

ولذا يمكن تقسيمها عدة تقسيمات أو تسمية عدة أنواع من المعرفة :
المعرفة العامية و الدينية و الميتافيزيقية و الفلسفية و السياسية و التقنية و المعرفة العقلية التجريبية و التنظيرية و الوضعية و الجماعية و الفردية ... ألخ.

و أهم هذه الانواع :

المعرفة الحسية Sensuous knowledge :

- هي من أقدم أنواع المعرفة الإنسانية و ابسط وسيلة لاكتساب تلك المعرفة و أسهلها استنتاجا و ملاحظة و تتمثل هذه المعرفة بالإدراك الحسي ، إذ تعتمد أصلا على الحواس و الخبرة اليومية التي لا تحتاج إلى حجج و براهين تدعم وجودها و تعزز مكانتها و تؤيد أفكارها و حقائقها.

- فالإنسان يستخدم حواسه المختلفة كأدوات للاتصال بالمحيط الذي يعيش فيه ، حيث يقوم بنقل المعلومات التي تصله من خلال حواسه إلى الدماغ باستخدام العديد من العمليات و الفعاليات و التي تنحصر في ملاحظة الظواهر دون أن يوجه اهتمامه للبحث عن إيجاد صلات أو العلاقات التي تربط فيما بينها ، أي إنها معرفة عادية يومية قائمة على الخبرة و المران .

المعرفة العقلية Rational Knowledge :

- أما المعرفة العقلية فهي التي يكون أساسها العقل .
- وهي المعرفة التي تعتمد على المنطق وعلى الحساب و تميل الى التجربة و الإستنباط و السبر و التحليل
- وهذه المعرفة تكون قريبة من الصواب ، ولا يمكن أن تكون كاملة لأنها نسبية ،
- وهي تكملة للمعرفة الحسية ، فالعين ترى الشمس كالقرص في الحجم لكن العلم أثبت أنها أكبر ، و لون ماء البحر أزرق لكن في الأصل لا لون له.

المعرفة الفلسفية Philosophical Knowledge :

- و تسمى المعرفة التأملية أو العقلية. حيث يسعى الإنسان من خلالها للبحث عن الحقيقة فيما و راء المحسوسات . أي البحث عن الأسباب و العلاقات التي تحيط بالظواهر و الأحداث ولكن بشكل تأملي منطقي بحت ، ولكن دون استخدام التجارب أو المحاولات البحثية.

- وهي معرفة عقلية تحتاج إلى مستوى ذهني أعلى مما تتطلبه الحياة اليومية أو المعرفة الحسية و التجارب اليومية الاجتماعية.

- وهي التي تميل الى الرأي و أساسها البحث في الكون وعن الحقيقة بالتأمل و استعمال النظر وهي تجمع بين المعارف الحسية و العقلية و العلمية و تعمل على الإنتقال بها الى المطلق ، وهذه المعرفة عادة ما تفتح الباب لإستعمال التأمل و تقديم بعض الإجابات عن الأسئلة التي تطرح و التي يعسر وجود الجواب عليها عند العقل ، وهذه المعارف تبقى نظريات قابلة للخطأ و الصواب و جامعة بين المعارف النسبية.

المعرفة العلمية Scientific Knowledge :

- تعتبر المعرفة العلمية أرقى درجات المعرفة و أدقها ، يسعى من خلالها الإنسان إلى معرفة ما يحيط به من ظواهر و حوادث وأشياء.

- وهي تأتي نتيجة لمجهود فكري منظم يتخصص بدراستها دراسة موضوعية . وذلك عن طريق البحث المخطط و المنظم و التجربة القائمة على الأسلوب العلمي.

- و الطريقة العلمية تعبير اصطلاحي للتعبير عن الخطوات التي يتبعها الباحث عندما يتطرق منطقيا لأية مشكلة و التي هي نشاط فكري يتضمن جمع و تنظيم و تصنيف و برمجة المعلومات و البيانات الموضوعية التي تم اشتقاقها من الظواهر و الأشياء المرتبة و غير المرتبة.

- و تعتمد هذه المعرفة أساسا على عمليتي الاستقراء Induction و الاستنباط Deduction معا.

<u>وماذا بعد؟</u>

لا شك أن ما تناولناه في هذه المحاضرة أثار أمامنا تساؤلات عديدة ، مثل :

- طبيعة المعرفة - إمكان المعرفة - مصادر المعرفة - مناهج المعرفة - أهم النظريات و أهم الذين تناولوا قضايا المعرفة.
- ولهذا فإن أهمية تناول نظرية المعرفة كبناء نظري متكامل يتناول مختلف أوجه القضية يبدو من الأهمية بمكان . لأن إدراكنا لهذا الموضوع بصورة بناء نظري متكامل تعطي لنا القدرة على فهم مختلف النظريات المتعلقة بالمعرفة و إمكانها و مصادرها و أنواعها و مناهجها و ضوابطها ، لنستطيع بعد ذلك أن نتبين ما هو الصواب فيها وما هو الخطأ ، كما نتبين من خلالها ما يمكن أخذه وما يمكن رده ردا علميا مبرهنا.

وهذا هو مجال مقررنا في المحاضرات المتبقية . بمعنى أن له فائدتان :

- فائدة نظرية ببناء و عينا وفهمنا الفكري و العلمي للموضوع.
- و فائدة عملية تمكننا من امتلاك أدوات نميز بها مختلف النظريات العلمية و مواقفها و تطبيقاتها.

المعرفة و فلسفة العلم و الابستيمولوجيا

أولاً: المعرفة و الفلسفة :

١. مباحث الفلسفة :

عادة ما يميز مؤرخو الفلسفة و الدارسون المهتمون بمجال التفكير الفلسفي بين ثلاثة مباحث كبرى شكلت مجال اهتمام الفلاسفة طيلة المسار التاريخي للإنتاج الفكري الفلسفي .

و تتمثل في مبحث الوجود أو ما يسمى بالأنطلوجيا و مبحث المعرفة الذي يمكن التمييز فيه بين نظرية المعرفة كفرع فلسفي يهتم بالمعرفة عموما و الإبستمولوجيا أو ما يسمى بفلسفة العلوم وهي التي تهتم بقضايا و إشكالات تتعلق بالمعرفة العلمية الدقيقة بوجه خاص ، أما المبحث الثالث فيتمثل في مبحث القيم أو ما يسمى بالأكسيولوجيا ، وهو الذي يهتم بثلاث قيم عليا رئيسية هي : الحق و الخير و الجمال.

٢. قضايا المعرفة قضايا فلسفية :

هكذا يتبين أن الإشكالات المرتبطة بالمعرفة هي من صلب اهتمام الفيلسوف ، و تشكل بجانب الإشكالات الأنطلوجية الميتافيزيقية و الإشكالات الأكسيولوجية القيمية الأرضية الفكرية الأساسية التي انصبت عليها معاول التفكير الفلسفي و فلحت تربتها أسئلته الباحثة عن جذور الأفكار و المقلبة لأوجهها المتعددة في أفق الكشف عن درجات الصحة أو اليقين التي تمثلها.

و إذا كان الإنسان كائنا عاقلا ، وكان عقله قد مكنه من القدرة على إنتاج مجموعة من الأفكار و المعارف ، فإن العقل الفلسفي قد اهتم بهذه القدرة بالذات التي يتميز بها الكائن البشري عن عموم الموجودات الطبيعية الأخرى و طرح حولها العديد من الأسئلة التي تكون في ترابطها و تداخلها الإشكالية المعرفية التي نحن بصدد تناولها و البحث فيها.

ومن أهم تلك الأسئلة التي تشكل الفضاء الإشكالي المتعلق بمجال المعرفة ، نذكر تلك المتعلقة بإمكان المعرفة و مصدرها وحدودها و وظيفتها.

وقد تميز تاريخ الفلسفة بظهور عدة مذاهب و اتجاهات جسدت مواقف متعددة و قدمت إجابات مختلفة - متشابهة أحيانا و متعارضة أحايين أخرى – بصدد تلك الإشكالات المعرفية و سنركز في محاضرتنا هذه على إشكالين معرفيين رئيسيين ، أحدهما يخص إمكان المعرفة بينما يخص الآخر حدودها ، مثيرين أثناء ذلك تساؤلات تتعلق أيضا بمصدر المعرفة و طبيعتها و منهجه بلوغها ، نظرا لما يوجد من تداخل بين كل هذه الإشكالات التي تطرح حول مسألة المعرفة في حقل التفكير الفلسفي .

٢. ١. إمكانية المعرفة :

يمكن التعبير عن الإشكالية المتعلقة بإمكان المعرفة من خلال التساؤلات التالية : هل المعرفة ممكنة ؟ وهل بإمكان العقل إنتاج معرفة حقيقية بالإنسان و بالطبيعة وما وراء الطبيعة ؟ وما هي الأسباب أو المحددات التي تجعل هذه المعرفة ممكنة أو غير ممكنة ؟

في إطار معالجة هذه الإشكالية ، يمكن التمييز بين فريقين متعارضين ؛ أحدهما يشكك في إمكانية وجود الحقيقة و يقر بعجز العقل و عدم قدرته على بلوغ أية معرفة صحيحة بالأشياء و الظواهر، و يمثل هذا الموقف الفلاسفة الشكاك أو أصحاب الشك المذهبي الذين اتخذوا الشك عقيدة لهم في الحياة ، بحيث أنكروا جميع الحقائق ولم يستطيعوا الخروج من دائرة الشك. أما الفريق الآخر فيمثله الفلاسفة الاعتقاديون أو الوثوقيون الذين يثقون في قدرة العقل على بلوغ الحقيقة و اليقين و يقولون بالتالي بإمكانية بلوغ الحقيقة و يعترفون للعقل قدرته على بلوغ المعرفة المتعلقة بالظواهر سواء كانت طبيعية أم إنسانية.

٢. ٢. حدود المعرفة :

لقد أشرنا في معرض حديثنا عن الموقف التجريبي إلى أنه يجعل حدود المعرفة محصورة في نطاق ما هو حسي تجريبي. هكذا فقد عمل لوك و هيوم على تفنيد الموقف العقلاني القائل بوجود الأفكار الفطرية و اعتبروا أن الخبرة الحسية هي بداية أي بحث عن أية معرفة صحيحة و حقيقية.

ثانيا: نظرية المعرفة :

١. مفهوم النظرية :

النظر هو التفكر و التأمل الذي يصدر من النفس في الأمور المعلومة للحصول منها أو عبرها على الأمور المجهولة و بالتالي يمكن تعريف النظرية بأنها (مقدمات فكرية وع قلية بإتباعها و إعمال قواعدها نحصل على نتائج و معارف مستنبطة من تلك المقدمات).

و النظرية هي (مجموعة من المفاهيم و التعريفات و المقترحات المترابطة التي تمثل نظرة منظمة للظاهرات و ذلك بتحديد العلاقات بين المتغيرات بغرض تفسير الظاهرات و التنبؤ بها).

و للنظرية تعريفات أخرى كثيرة ، كلها تدور حول أنها معارف و علوم أخذت شكل القواعد العلمية المتفق عليها و التي يستعان بها في وضع النظم و حلول المشكلات.

و النظرية (**theory**) تصور أو فرض علمي يربط عدة قوانين بعضها ببعض و يردها إلى مبدأ واحد ، يستنبط منه أحكاماً و قواعد ، يتسم بالعمومية و ينتظم علماً أو عدة علوم و يقدم منهجاً للبحث و التفسير و يربط النتائج بالمبادئ. و للنظرية اصطلاحاً عدد من المعاني المختلفة باختلاف الفرع الذي تستخدم فيه هذه الكلمة.

فالنظرية عند الفلاسفة تركيب عقلي ، مؤلف من تصورات منسقة ، تهدف إلى ربط النتائج بالمبادئ و الإجابة عن مشكلة فلسفية معيّنة. فالنظرية الفلسفية مكونة من عدد مترابط من الحجج ، يدعم بها الفيلسوف وجهة نظره تجاه عدد من القضايا الفلسفية التي يثيرها الذهن على سبيل المثال حول طبيعة الوجود و الإنسان و الحياة و المعرفة و الحرية و التطور و العلل و اليقين و الاحتمال و نحو ذلك و يكوّن مجموع هذه النظريات الفلسفية المترابطة كلاً عضوياً يحدد المذهب الفلسفي لذاك الفيلسوف.

كما تطلق النظرية على ما يقابل الممارسة العملية **practice** في مجال الواقع حينما تدل على المعرفة الخالية من الغرض، المتجردة من التطبيقات العملية (أي المعرفة الافتراضية غير المحققة).

وعلى اختلاف النظرية عن الممارسة ، فإنها مرتبطة بها ، فالممارسة جزء لا يتجزأ من كل نظرية و معيار صدقها فكلاهما مقولتان تبرزان الجانبين الروحي و المادي لمعرفة العالم الموضوعي ؛ النظرية بوصفها نسق من المعرفة الإنسانية المعممة و الممارسة بوصفها النشاط العملي الاجتماعي.

و النظرية بهذا المعنى هي المحمل الكلي لمعرفة الناس و تفسيرهم الجوانب المختلفة للواقع و الممارسة هي نشاطهم لدعم الوجود و تطور المجتمع.

وقد تطلق النظرية على ما يقابل المعرفة العلمية حينما تدل على ما هو موضوع تصور منهجي منظم ومتناسق - كالرأي أو الفرضية - تابع في صورته لبعض المواضعات العلمية التي يجهلها عامة الناس ، وهنا لا يستوجب أن تكون النظرية مبنية على حقائق.

أما في المجال العلمي (العلوم التجريبية) فتشير النظرية إلى نموذج مقترح لشرح ظاهرة أو ظواهر معيّنة بإمكانها التنبؤ بأحداث مستقبلية ، و يمكن نقدها ، أي تقدم شرحاً لآلية حدوث الظواهر الطبيعية بشرط تحقق حدوث هذه الظاهرة و عدم وجود نزاع في حدوثها ، و تكون عموماً عرضة للصواب أو الخطأ و النقد و التطوير ، بيد أن التماسك المنطقي و الرياضي للنظرية و شرحها لأكبر عدد ممكن من النتائج التجريبية يدعم النظرية و يعطيها تأكيداً أكثر فأكثر و تزداد النظرية صحة .

إما حينما تقدم تنبؤات بشأن ظواهر غير مثبتة ، لكن يتم إثباتها لاحقاً بالتجارب ، فنظرية النسبية العامة مثلاً تنبأت بانحرافات دقيقة في مدار الكوكب عطارد لم تكن مرصودة بعد ، و تم التحقق من ذلك بعد ظهور النظرية مما أعطاها مصداقية أكبر؛

و إما حينما تبرهن النظرية على خطأ نظرية ما ، كخطأ نظرية أرسطو (مركزية الأرض) بأن الأرض هي مركز الكون و أن الكواكب و النجوم تدور حول الأرض ، و ثبوت صحة نظرية فيلاكوس **Philacus** بأن الشمس هي المركز (مركزية الشمس).

٢. خصائص النظرية :

- تفسير الحقائق التي نلاحظها مع شرح حدوث الظاهرة موضوع النظرية في ابسط صورة بعيد عن التعقّد اللفظي .
- متجانسة مع الحقائق التي نلاحظها و مع المعرفة القائمة حاليا.
- يجب أن تنطوي على وسائل التحقّق منها و يتم ذلك من خلال استقراء النظرية و الحصول منها على فروض.
- يجب أن تؤدي النظرية إلى اكتشافات جديدة و تشير إلى مجالات أخرى في حاجة للبحث .
- و تحقق الهدف من وضع النظريات في العلوم الطبيعية بشكل أفضل مما هو حادث في العلوم الاجتماعية بحكم أن العلوم الطبيعية هي الأقدم .

٣. نظرية المعرفة :

- هي دراسة منهجية منظمة لقضية العلم أو مسألة المعرفة بدراسة ماهية المعرفة و إمكانها وطبيعتها و طرق الوصول إليها و قيمتها و حدودها.

- أي هي بحث في المشكلات الناشئة عن العلاقة بين الذات العارفة و الموضوع المعروف و البحث عن درجة التشابه بين التصور الذهني و الواقع الخارجي.

ثالثاً: نظرية المعرفة و الابستيمولوجيا :

الإبستيمولوجيا epistemology مصطلح ذو أصل إغريقي مؤلف من كلمتين: epistemo و تعني المعرفة و logos و تعني علم . و يعني المصطلح حرفياً علم المعرفة أو علم العلم .

أما المعنى المعاصر لمصطلح إبستيمولوجيا في الفلسفة العربية و الفرنسية فهو : الدراسة النقدية للمعرفة العلمية.
و يعرف المعجم الفلسفي - الصادر سنة ١٩٨٣ عن مجمع اللغة العربية لجمهورية مصر العربية - الابستومولوجيا بأنها (دراسة نقدية لمبادئ العلوم المختلفة و فروضها و نتائجها و تهدف إلى تحديد أصلها المنطقي و قيمتها الموضوعية).

و تطلق في اللغة الانجليزية على نظرية المعرفة بوجه عام. يقول رونز: " الابستومولوجيا أحد فروع الفلسفة الذي يبحث في أصل المعرفة و تكوينها و مناهجها و صحتها ".

ولكن المعنى الأنغلوساكسوني هو معنى "نظرية المعرفة بصورة عامة " أكثر مما هو "نظرية العلم "؛ و مصطلح "فلسفة العلوم" الفرنسي ، يستخدم مرادفاً للإبستومولوجيا استخداماً شائعاً.

ومع أن مفهوم « العلم » حاضر في تاريخ الفلسفة ، فإن الإبستيمولوجيا بوصفها مبحثاً مستقلاً موضوعه المعرفة العلمية ، لم تنشأ إلا في مطلع القرن العشرين حين اتجهت إلى تحديد الأسس التي يرتكز عليها العلم و الخطوات التي يتألف منها و إلى نقد العلوم و العودة إلى مبادئها العميقة . وذلك بتأثير التقدم السريع للعلم و الاتجاه نحو التخصص المتزايد ، وما ولدّه ذلك من تغيّر في بنية منظومة العلوم ومن صعوبات و إشكالات ذات طبيعة نظرية.

و الابستيمولوجيا بوصفها الدراسة النقدية للعلم تختلف عن نظرية المعرفة . ففي حين تتناول نظرية المعرفة عملية تكون المعرفة الإنسانية من حيث طبيعتها و قيمتها و حدودها و علاقتها بالواقع و تبرز - بنتيجة هذا التناول - اتجاهات اختبارية و عقلانية و مادية و مثالية ، فإن موضوع الإبستيمولوجيا ينحصر في دراسة المعرفة العلمية فقط .

و إذا كانت الإجابات التي تقدمها نظرية المعرفة « إطلاقية » و عامة و شاملة ، فإن الإبستيمولوجيا تدرس المعرفة العلمية في وضع محدد تاريخياً من دون أن تنزع نحو إجابات مطلقة.

بل ترى الإبستيمولوجيا في التعميمات الفلسفية لنظرية المعرفة عائقاً أمام تطور المعرفة العلمية. ذلك أن التصورات الزائفة عن المعرفة تؤثر سلبياً في مجال المعرفة العلمية و خاصة حين تضع حدوداً للعلم .

فالإبستيمولوجيا ليست استمراراً لنظرية المعرفة في الفلسفة بل هي تغير كيفي في النظر إلى علاقة الفلسفة بالعلم و تجاوز للتناقض بين نظرية المعرفة و العلم .

وليس هذا فحسب بل إن الإبستيمولوجيا أتت على ما كان يعرف بفلسفة العلم التي تولدت من علاقة الفلسفة بالعلم و تناولت جملة موضوعات أهمها علاقة العلم بالمجتمع و تأثيره في تكوّن النظرة الفلسفية إلى الطبيعة و الكون .

نظرية المعرفة (نشأتها و مبادؤها)

نشأة نظرية المعرفة :

- مبحث نظرية المعرفة كما عرفناه في المحاضرة السابقة ، قد طرأت عليه تغيرات و تعديلات أثناء تطور الفلسفة و عبر تاريخها الطويل ، فهو ليس وليد عصر معين أو فيلسوف معين، بل هو مفهوم بتطور دائماً.
- فقد أصبحت المعرفة منذ كانت ذات مكانة مركزية في الفلسفة فاقت بها كل جوانب الفلسفة الأخرى.
- و منذ ذلك التاريخ لم تعد الفلسفة معرفة للعالم ، بل تفكير في هذه المعرفة بالعالم أو هي معرفة بالمعرفة.
- ومن هنا وجد التمييز بداية بين طريقة وضع المشكلة لدى فلاسفة اليونان بشكل عام ، وبين طريقة وضع المشكلة عند الغربيين في العصر الحديث و عند العلماء المسلمين.

طريقة فلاسفة اليونان في وضع مشكلة المعرفة :

- و كان أول من لمس لب نظرية المعرفة من الفلاسفة اليونان بحق هو بارمنيدس ، حيث ظهرت مشكلة المعرفة بمعنى الكلمة عنده ، فقد قال بوضوح أن هناك وجودا يتعدى كل ما تعرفه التجربة العادية وهو يربط بين العقل وذلك الوجود على حين أن اللاوجود يقوم على النظر والسمع وعلى اللغة التي يستعملها عامة الناس.

- و مضى الفلاسفة بعده يُعبِّر كل منهم عن وجهة نظر تختلف عن الأخرى ، فقد عبّر إنبادوقليس عن وجهة نظره في أن الشبيه يدرك الشبيه ،

- وعبّر ديمقريطس عن وجهة نظر فيها أصالة وعمق وكان لها تأثير كبير حيث ميز بداية بين الموجود و بين ما هو محض فكر وظن ولا يستطيع أن يدرك جزئيات الوجود وهي لديه الذرات إلا الإدراك الألطف و حسب ، أمَّا الحواس الخمس الخشنة فإنها تقف عن حدود المتنوع إلا ما لا نهاية و النسبي من ألوان وأصوات و روائح وغير ذلك.

- و الطبيعيون الأولون و الفيثاغوريون كل هؤلاء تركزت عنايتهم في وصف الطبيعة و محاولة تفسير ظواهرها دون أن يثيروا الشك في الوسائل التي نستخدمها في معرفتنا لها.

- وقد ساهم السوفسطائيون بعد ذلك مساهمة قيمة و هامة في توسيع نطاق مناقشة المشكلة و على الأخص : جورجياس و بروتاجوراس ، فقد استطاع الأول بكتابه في الوجود أن يتيح لنا النظر نظرة عميقة إلى طريقة وضع مشكلة المعرفة في عصر السوفسطائيين .

- وكذلك أسهم بروتاجوراس خاصة بواحديته الواضحة التي بدأت في عدم اعترافه بأي شيء ليس مصدره الحواس حينما قال :" أن الإنسان معيار الوجود " و قصد بذلك أن الإنسان بحواسه هو معيار معرفة الوجود فهو لم ير إلا الحس وسيلة للمعرفة إلا بوجود المادة .

- ولا شك أنه لولا هؤلاء السوفسطائيين خاصة جورجياس و بروتاجوراس لما كانت مناقشة مشكلة المعرفة قد اتسع نطاقها هذا الاتساع الذي و جدناه لدى سقراط و أفلاطون ومن بعدهما أرسطو.

- فقد كان سقراط برده على حجج السوفسطائيين هو بحق أول من ميّز تمييزا فاصلا بين موضوع العقل و موضوع الحس. بِيدَ أنَّ حَلَّ سقراط لمسألة المعرفة بقي ناقصا.

- و كان على أفلاطون استكماله ، فقدم فكرته الأصلية البسيطة التي تمثلت في أن هناك إلى جانب كلِّ شيء متغير شيء آخر خالد لا يأتي عليه تبدل و ينبغي أن تقوم عليه وحدة المعرفة و السلوك ، ومن ثم فلا علم إلا بالكلي الذي يظل دائما في ذاته باقيا على ذاتيته ، وبذلك ارتبطت نظرية أفلاطون في المعرفة بنظريته في الوجود وفي الأخلاق .

- أدى شغف أرسطو بالمعرفة أن انشغل انشغالا شديدا بالبحث في وسائل المعرفة الإنسانية ، ومدى ما يمكن أن نصل إليه من خلال هذه الوسائل ، ولما وجد أن غالبية الناس يعتقدون أن حواسهم هي وسيلتهم في المعرفة بدأ بحثه في طبيعة الحواس و وجد أن طبيعتها تؤكد قصورها و محدوديتها.

- ومن ثم بحث فيما يمكن أن يؤديه العقل و وجد نفسه أنه قادر على أن يحلل ما تعطيه الحواس و يبني منه ما يسمى بالمعرفة الإنسانية فالإنسان هو العقل و يستدل و يقيس أساسا وليس هو فقط ما يستقرئ .
- إن الإنسان هو القادر وحده على تنظيم مشاهداته و الاستفادة منها من تكوين بناء متكامل للمعرفة عن هذا العالم من خلال قدراته العقلية الفذة .

- ولعل ذلك هو ما جعل أرسطو يركز اهتمامه على دراسة العقل و إمكاناته المعرفية من جانب و محاولته من جانب أخر وضع القوانين اللازمة لضبط التفكير العقلي حتى لا يبتعد العقل على المجال المعرفي الصحيح .
- ومن هذا كان تأسيس أرسطو للمنطق و فصله عن بقية العلوم كما كان بحثه في نظرية المعرفة.

- و أرسطو لم يفصل دراسة المعرفة من حيث هدفها وقيمتها عن كل من الميتافيزيقيا و المنطق لجعلها علما نظريا خالصا فقد ظلت نظرية المعرفة عنده مختلطة بالمنطق و كانت قيمة العلم و طرق تحصيله يشكلان سويا موضوع دراسة واحدة .

الفلاسفة الغربيون :

- أما الفلاسفة الغربيون فقد كانت نظرية المعرفة مبثوثة لديهم في أبحاث الوجود إلى أن جاء جون لوك " ١٦٣٢-١٧٠٤ " فكتب " مقاله في الفهم الانساني " Essay Concerning Human Understanding المطبوع عام ١٦٩٠م ليكون أول محاولة لفهم المعرفة البشرية و تحليل الفكر الإنساني و عملياته "

- بينما سبقه بصورة غير مستقلة فرانسيس بيكون رائد المدرسة الحسية الواقعية . و الذي يقول إن المعرفة لا يمكن الحصول عليها إلا عن طريق الحواس وما لا يمكن معرفته عن طريق الحواس لا يعتبر موجودا .

- و إن كان قد سبقهم ديكارت في نظرية فطرية المعرفة. فديكارت رائد المدرسة العقلية المثالية الذي يقول بفطرية المعرفة أي أن العقل البشري مفطور على معارف و علوم أساسية يمكن عن طريقها أن يتوصل إلى المعارف و العلوم الأخرى وهو صاحب المقولة المشهورة : (أنا أفكر إذن أنا موجود) .

- و بعد ذلك جاء كانط (كانت) (١٧٢٤ - ١٨٠٤م) فحدَّد طبيعة المعرفة و حدودها و علاقتها بالوجود ثم جاءت محاولة فرييز في القرن التاسع عشر ففصل بحث المعرفة عن بحث الوجود .

- و يعتبر فرنسيس بيكون من المفكرين الأوائل الذين عملوا على إعادة النظر في مفهوم الحقيقة و المعرفة ، ولم يعد يتوصل إليها بالحدس و الإلهام أو بنوع من التجريد العقلي ، بل تحولت إلى حقيقة نسبية تتحقق عبر التاريخ . وهذا التصور الجديد للمعرفة و للحقيقة هو ما أبرزه بيكون من خلال فلسفته و على الخصوص من خلال تصنيفه لعلوم و معارف عصره حيث سيقسم هذه العلوم أو المعارف إلى ثلاثة أنواع حسب ملكات المعرفة المختلفة .

- و يميز الفيلسوف برتراند راسل بين نوعين من المعرفة : المعرفة باللقاء أو الاتصال المباشر، أي التي تُدرك بالحواس مباشرةً و المعرفة بالوصف ، أي التي تنطوي على استنتاجات عقلية .

- و نجد أغست كونت (١٧٩٨-١٨٥٧) يؤسس تطور المعرفة على قانون عام ، يفترض أن تطور الفكر البشري ، وكذا تطور المعارف عبر الزمن عرف مراحل ثلاث : المرحلة اللاهوتية ـ المرحلة الميتافيزيقية ـ المرحلة الوضعية.

- ثم اتخذت نظرية المعرفة وضعها المستقل لتبحث في العلاقة بين الذات العارفة " الإنسان " و الموضوع المدروس و النظر في حدود المعرفة البشرية و قيمتها و طبيعتها و مصادرها. فصارت نظرية المعرفة .

نظرية المعرفة في التراث الإسلامي :

استوقف موضوع المعرفة و نظرية المعرفة علماء المسلمين ؛ فلاسفة و متكلمين و عقدوا أبوابا و فصولا ، بل كتبا في العلم و المعرفة :

-فالقاضي عبد الجبار المعتزلي (ت ٤١٥هـ) صنف مجلدا كبيرا من موسوعته (المغني) سماه (النظر و المعارف) ، تحدث فيه بالتفصيل عن حد النظر و العلم و المعرفة و طرقها و حقيقتها و طرق معرفة صحة النظر و درجات المعرفة من الشك على الظن على اليقين و تحدث عن الدليل العقلي و السمعي ، و أول ما يجب على المكلف و طريق وجوب المعرفة ...

-ثم نجد الباقلاني (ت ٤٠٣هـ) يقدم لكتابه (التمهيد) بباب العلوم في (العلم و أقسامه و طرقه).

-ثم البغدادي (ت٤٢٩هـ) في كتابه (أصول الدين) جعل الأصل الأول منه معقودا على بيان الحقائق و إثباتها و طرق تحصيلها و أقسامها.

-و الرازي أيضا جعل الركن الأول لكتابه (التحصيل) في العلم و النظر .

-كما أن الإيجي يجعل الموقف الأول في كتابه (المواقف) في العلم و النظر كذلك ، يجمع فيه آراء المدارس و يناقشها.

-و نجدها أيضا في مقالات الفرق ، ككتاب (مقالات الاسلاميين) للأشعري و (الفرق بين الفرق) للبغدادي و (المنقذ من الضلال) و (المستصفى) للغزالي . وكذلك في كتاب (التعريفات) للجرجاني .

-ونجد الكندي (يعقوب بن اسحاق) حاول ضبط العلم و المعرفة في مؤلفاته ، ومنها (رسالة في حدود الاشياء و رسومها)

-و أبو نصر الفارابي الذي تحدث عن العلم وحده و تقسيماته في (البرهان) وفي كتب أخرى .

-و ابن سينا الذي تناول الإدراك و العلم و اليقين في كتابه (الاشارات و التنبيهات) وفي غيرها من كتبه.

-و ابن رشد الذي سعى تمييز العلم الحقيقي من غيره في (تهافت التهافت) .

-و الآمدي في (الإحكام في أصول الأحكام) الذي تحدث فيه عن العلم و الكلي و الجزئي وغيره من المفاهيم .

-و نجد ابن الحاجب في (مختصر المنتهى الاصولي) يتناول قضايا المعرفة و التصور و التصديق وغيرها.

-و القزويني في (الرسالة الشمسية) ، يتناول حد العلم و كيفية حصوله في العقل .

-و هناك عدد كبير من علماء المسلمين من الأصوليين و الفقهاء و المتكلمين و الفلاسفة وغيرهم ممن تناول موضوعا أو أكثر من موضوعات المعرفة في كتبه.

- الملاحظ من خلال استعراضنا لتاريخ نشأة نظرية المعرفة أنها عند الفلاسفة الأقدمين ، كانت مبثوثة متفرقة في ثنايا أبحاث الوجود و القيم ، بل لم يكن يجمعها كتاب واحد أو دراسة منهجية مستقلة ، فقد كانت متضمنة مثلا عند أفلاطون في أبحاثه في الجدل ، و عند أرسطو في بحث ما وراء الطبيعة ، دون أن يميزوا بين موضوع المعرفة و موضوع (الميتافيزيقا) ، إلا انهم بحثوا في أهم جوانب المعرفة.

-و لعل علماءنا المسلمين قد سبقوا غيرهم في إفراد بحث المعرفة بصورة مستقلة في كتبهم ، لأهمية هذا الموضوع بالنسبة لهم و علاقته بالوجود ، بينما لم يبدأ إفرادها عن الفلاسفة الغربيين إلا في القرن السابع عشر مع جون لوك .

مبادئ نظرية المعرفة :

أهم ما تقوم عليه نظرية المعرفة ما يلي :

- **إمكان المعرفة** : و يبحث في مدى قدرة الإنسان على تحصيل المعرفة ، ولعل أول من أثار هذا البحث هم السوفساطائيون و الشكاك.

- **مصادر المعرفة** : الحواس و العقل و علاقتهما ببعض ، و طريق الوحي عند أصحاب الأديان و طرق أخرى كالإلهام و الكشف و الحدس .

- **طبيعة المعرفة** : و تقوم أبحاثها على بيان طبيعة العلاقة بين الذات العارفة و الشيء المعروف.
- قيمة المعرفة و حدودها.

- **و هناك أبحاث قريبة من نظرية المعرفة ، قد يدمجها البعض فيها ، وقد يفصلونها عنها. منها** : أبحاث علم المنطق و أبحاث علم النفس المتعلقة بمسائل التخيل و التصور و التعرف و الإدراك وسائر العمليات العقلية .

مصادر المعرفة

يختص هذا المبحث بدراسة الوسيلة أو الأداة أو المصدر الذي تتم عن طريقه تشكيل المعرفة الإنسانية ، عبر تحديد مصادر المعرفة (الأدوات المعرفية)، و تحديد الآليات التي تتيحها هذه المصادر للمعارف الكاشفة عن الواقع الموضوعي . وقد اختلف الفلاسفة في ذلك على مذاهب :

فمنهم من ذهب إلى أن العقل هو المصدر الأول و الأساسي للمعرفة (وهؤلاء هم العقليون).
و منهم من ذهب إلى أن التجربة الحسية هي المصدر الأول و الأساسي للمعرفة (وهؤلاء هم التجريبيون)
و منهم من ذهب على أن الحدس و الإلهام هو المصدر الأول و الأساسي للمعرفة (وهؤلاء هم الحدسيون)
و منهم من جمع بينها و بين الوحي .

و الاختلاف في المصادر الأساسية للوصول إلى المعرفة ، لا يعني القول بإلغاء المصادر الأخرى في حال إثبات إحداها ، و إنما يعني القول بأن الأولوية في الثبوت هي لهذا المصدر أو ذاك.

أولا: المذهب العقلي (Rationalism) :

تتمثل مصدرية العقل للمعرفة عند العقليين في صورتين :

أ. هي التي يستغني فيها العقل لتحصيل المعرفة عن أي شيء سواه ، من خلال استنباط قضايا جديدة من قضايا سابقة معلومة ، بقطع النظر عن الوجود الخارجي .

ب. هي التي تفسر مصدرية العقل للمعرفة برد الحكم على الأشياء إلى مبادئ العقل الفطرية ، فمادة المعرفة تكون من الإدراكات الحسية ، ولكنها لا تكون معرفة علمية إلا بالاحتكام إلى العقل الذي يجعلونه مصدرا لها ، وهذه المعرفة تنقسم عندهم إلى معرفة بديهية أو ضرورية تضطر النفس إلى الإذعان لها و التسليم بها دون الحاجة على النظر و الاستدلال و إلى معرفة نظرية تحتاج إلى نظر و استدلال .

وقد اتفق العقليون على أن : العقل قوة فطرية مشتركة بين بين الناس جميعا و تصوروا أن مبادئه لا بد ان تكون كلية و مشتركة بين جميع الاذهان و ضرورية صادقة على جميع الاشياء و أولية سابقة على كل تجربة .

فالقول بأن (الكل أكبر من الجزء) أو (الشيء الواحد لا يمكن ان يكون موجودا و غير موجود في وقت واحد) أو (الأكبر يحتوي الاصغر) أو (المساويان لثالث متساويان) كأن نقول (٢+٢=٤).

فهذه المبادئ وغيرها مبادئ عقلية تتصف بأنها: معارف قائمة بذاتها، سابقة للتجربة وليست نتيجة لها ، تتصف بالضرورة أي لا تحتاج على برهان آخر لإثباتها ، ولا تختلف هذه المعارف باختلاف الناس أو بتغير الأزمنة و الأمكنة ، لذلك فإن هذه المعارف هي معارف أولية قائمة بذاتها.

و هكذا ، يقوم موقف العقليين على التسليم بان للعقل مبادئ جاهزة او طرقا فطرية هي التي تقوده إلى معرفة حقائق الاشياء و معارفه مستغنية عن أي معرفة سابقة . ولذلك ، فإن الصورة المثلى عند العقليين هي تلك التي يمثلها البرهان الرياضي ، فمثل هذه لابراهين تبدأ بالبيدهيات أو الحقائق القائمة بذاتها.

- إن العقليين لا يرفضون ما تجيء به الحواس من معارف و معلومات (غاية ما في الامر أنها معلومات لا يقطع بيقينها ، حيث أن الحواس كثيرا ما تخدع ، فأحيانا نرى شيئا وهو خلاف ما نراه... وهي معارف تحتمل الخطأ).
- فالحس على أساس نظرية العقليين ، مصدر فهم للتصورات و الأفكار البسيطة ، ولكنه ليس السبب الوحيد ، بل هناك معارف أولية تثبت في العقل ابتداء ، وهي سابقة على الحواس و مستغنية عنها.
- فالمذهب العقلي يوضح أن الحجر الأساس للعلم هو المعلومات العقلية الأولية ، وعلى ذلك الأساس يقوم البناء الفوقي للفكر الإنساني الذي يسمى بالمعلومات الثانوية ، أي المعلومات الحسية التجريبية.

- فالعقل يمتلك إزاء كافة ظواهر الوجود و مظاهره أحكاما لا تتعدى ثلاثة أحكام ممكنة ، فهو (العقل) إما ان يحكم عليها بانها أكيدة و واجبة ، و إما أن يحكم عليها بأنها مستحيلة و ممتنعة ، و إما يحكم عليها بانها ممكنة و جائزة.
- فأصحاب المذهب العقلي يرون أن الحجر الأساس للعلم هو المعلومات العقلية الأولية ، أي أن المقياس للتفكير البشري – بصورة عامة – هو المعارف العقلية الضرورية ، فهي الركيزة الاساسية التي لا يستغمي عنها كل مجال ، و يجب ان تقاس صحة كل فكرة وخطئها في ضوئها. و يصبح ميدان المعرفة البشرية أوسع من الحس والتجربة.

من اشهر الفلاسفة العقليين أفلاطون صاحب نظرية الاستذكار ، وهي النظرية القائلة بأن الادراك عملية استذكار للمعلومات السابقة .

وقد سار فلاسفة المذهب العقلي على طريق أفلاطون في اهتمامهم بالرياضيات و استخدامهم المنهج الرياضي ، وعلى رأسهم أرسطو صاحب المنهج الاستدلالي في المعرفة .
وفي العصر الحديث جاء ديكارت الذي قال (إن العقل هو اعدل قسمة بين البشر) و تبنى الشك المنهجي منهجا للمعرفة ، وكذلك اسبينوزا الذي واصل طريق ديكارت في استخدام المنهج الرياضي و الوضوح العقلي معيارا للحقيقة.

ثم ليبنيتز الذي يرى أن جميع القضايا الصادقة يمكن معرفتها بواسطة الاستدلال العقلي الخالص ، وذهب إلى أن أفكارنا تكون أصلا في أذهاننا.
كما يعتبر كانط صاحب المذهب النقدي من العقلانيين ، إذ كان يميز في المعرفة بين ما هو أولي سابق على كل تجربة ، ما هو بعدي مكتسب بالتجربة ، فالصورة الأولية السابقة على التجربة هي الأساس في اكتساب المعرفة

ثانيا: المذهب التجريبي (Empiricism) :

هو مذهب يقول إن الخبرة مصدر المعرفة وليس العقل و التجربة بهذا المعنى نقيض الفلسفة العقلية التي تفترض أن هناك أفكارا لا يمكن أن تزودنا بها الحواس و ينشئها العقل بمعزل عن الخبرة ، وتسمى لذلك معرفة فطرية أو قبلية.
و برزت التجربة على يد جون لوك و باركلي و ديفيد هيوم و ستيوارت مل ثم تجسدت في الوضعية المنطقية و الظاهراتية و التجريبية أو الحسية هي : (الاسم النوعي لكل المذاهب لافلسفية التي تنفي وجود معارف أولية بوضفها مبادئ معرفية).

و يقوم المذهب التجريبي في المعرفة على أساس أن التجربة هي المصدر الأول لجميع المعارف الإنسانية ، و أن الحواس وحدها هي أبواب المعرفة ، فليس في العقل شيء لم يمر بالحس أولا ، و ينكر التجريبيون أن يولد العقل مزودا بأفكار فطرية كما يزعم العقليون .
تبنى المعارف عند التجريبيين على الظواهر الحسية ؛ لأنها المقياس الصحيح في بت الحكم . وليس هناك معرفة فطرية أولية سابقة على التجربة ، وليس هناك ضرورة عقلية كما يسير عليه المذهب العقلي .

فالتجريبيون لا يعترفون بمعارف عقلية ضرورية سابقة على التجربة و يعتبرون التجربة الأساس الوحيد للحكم الصحيح و المقياس العام في كل مجال من المجالات .

يعتمد المذهب التجريبي على الطريقة الاستقرائية في الاستدلال و التفكير ، لأنها طريقة الصعود من الجزئيات على الكليات و إذا كان العقليون اهتموا بالمعارف الرياضية التي تقوم على العقل ، فقد اهتم التجريبيون بالعلوم الطبيعية التي تقوم على التجربة ، و أنكروا قدرة العقل على أن يضمن لنا صدق القضايا التركيبية التي توضح لنا طبيعة العالم .

فالمذهب التجريبي يتلخص في أن المعرفة الإنسانية هي معرفة بعدية ، أي تأتي في مرحلة تالية أو متأخرة عن التجربة الحسية ، فالعقل يستمد خبراته و معلوماته من التجربة وحدها.

ومن اشهر الفلاسفة التجريبيين جون لوك الذي حاول في كتابه (مقالة في التفكير الانساني) أن يرجع جميع التصورات و الافكار على الحس. وهو (أول من طبق الاتجاه التجريبي في الفلسفة) الغربية و اعلن رفضه لأهم مبادئ الاتجاه العقلي ، و إنكاره أن تكون المعرفة الانسانية اولية في العقل ، سابقة على التجربة.

وكذلك جورج باركلي الذي كان يرى بان أفكارنا هي ذاتها العالم الخارجي ، ولم يعترف إلا بما يظهر لنا من الأشياء من خلال إدراكنا الحسي لها.

ثم ديفيد هيوم الذي اعتبر ان كل المعارف هي ذات أصول حسية حتى المعارف العقلية هي ذات أصول حسية ، وقد أنكر الميتافيزيقا ، و اعتبر أن وجودها يكون حقيقيا في حال احساسنا بالقضايا المتعلقة بالقضايا المتعلقة بها.

ثالثا: المذهب الحدسي (Intuitionism) :

وهو مذهب من يرى أن للحدس المكان الأول في تكوين المعرفة ، ولهذه الحدسية معنيان :

أ. إطلاقها على المذاهب التي تقرر أن المعرفة تستند إلى الحدس العقلي .
ب. إطلاقها على المذاهب التي تقرر أن إدراك وجود الحقائق المادية هو إدراك حدسي مباشر ، وليس إدراكا نظريا .

يقول بروور في وصف هذا النوع من الإدراك : (إن الانسان لديه ملكة مستقلة تمكنه من فهم الحقيقة و إدراك الواقع مباشرة ، وهذه الملكة ليست حسية ولا عقلية و إنما هي حدسية مباشرة).

و الحدس عند ديكارت هو: (الاطلاع العقلي المباشر على الحقائق البدهية).
وعند كانت هو: (الاطلاع المباشر على معنى حاضر بالذهن من حيث هو حقيقة جزئية مفردة).
و الحدس عند هنري بوانكريه هو: (الحكم السريع المؤكد أو التنبؤ الغريزي بالوقائع و العلاقات المجردة ، وهو الذي يكشف لنا عن العلاقات الخفية).

و تعتبر الأفلاطونية المحدثة المنسوبة إلى أفلوطين رائدة الفكر الحدسي في المعرفة ، فالمعرفة عندهم قائمة على الفيض و الإشراق ، ولا يمكن للإنسان أن يصل على المعرفة الحقة غلا عن طريق مداومة التأمل و رياضة النفس .

و أفضل من يمثل المذهب الحدسي الفيلسوف الفرنسي هنري برجسون ، الذي تأتي فلسفته كرد فعل على النزعة المادية و الاتجاه العلمي الذي شاع في أوروبا في القرن ١٩ ميلادي حتى أوشك هذا الاتجاه أن يطغى على كل اتجاه روحي ... فالعقل عاجز عن إدراك الموضوع في صيرورته و ديمومته ، وهو لا يفهم حق الفهم إلا الأمور الجامدة التي تقبل القياس . أما الحدس فيتابع الموضوع في صيرورته و يكشف عن حقيقته و يحيط به في كليته.

و حسب برجسون فإن الحدس مشاركة وجدانية تنتقل عن طريقها إلى باطن الموضوع ، لكي تندمج مع ما في ذلك الموضوع وقد جعل برجسون الحدس هو مصدر المعرفة الحقيقي للواقع . وهو اقرب للكشف الصوفي .

و إذا كان برجسون تبنى الحدس و جعله مصدرا للمعرفة الحقيقية للواقع في الفلسفة الغربية فإن متصوفة المسلمين قد تبنوا الإلهام مصدرا للمعرفة و سبقوا بذلك فلاسفة الغرب في تبنيهم للحدس .

ذهب برجسون إلى أنه بالإضافة إلى العقل الذي توهّم أنصاره أنه يقدم لنا المعرفة برمتها توجد ملكة أخرى للمعرفة ؛ وهي من قبيل التجربة الوجدانية ، سماها الحدس Intuition يقصد بالحدس عدة معانٍ متباينة :

الحدس الحسي : هو الإدراك المباشر عن طريق الحواس الإنسانية ، مثل إدراك الضوء و الروائح المختلفة.
الحدس التجريبي : الإدراك المباشر الناشئ عن طريق الممارسة المستمرة ، مثل إدراك الطبيب لداء المريض من مجرد المشاهدة .
الحدس العقلي : الإدراك المباشر- دون براهين - للمعاني العقلية المجردة التي لا يمكن إجراء تجارب عملية عليها ، مثل إدراك الزمان و المكان .
الحدس التنبؤي : يحدث أحيانًا في الاكتشافات العلمية أن تكون نتيجة لمحة تطرأ على ذهن العالم بعد طول التجارب.

المذهب البراغماتي (Pragmatism) :

تطلق الفلسفة البراجماتية على مجموعة من الفلسفات المتباينة إلى حد ما ، و التي ترتكز جميعها على مبدأ مؤداه أن صحة الفكر تعتمد على ما يؤدي إليه من نتائج عملية ناجحة ، وكان الفيلسوف الأمريكي " تشارلز ساندرز بيرس " هو أول من استخدم اسم البراجماتية وصاغ هذه الفلسفة و البراغماتية (الذرائعية) مذهب فلسفي يرى أن معيار صدق الأفكار هو في عواقبها العملية ، فالحقيقة تعرف من نجاحها . و يفسر النجاح بصورتين :

١- النجاح بمعنى المنفعة الشخصية ضمن نظام معين ، فتكون الكذبة الناجحة حقيقة ، وفي ظل هذه الصورة تتخذ الذرائعية مظهر السفسطة.
٢- النجاح بمعنى التطبيق العملي و العلمي الذي يتوافق مع قوانين الطبيعة ، فنقر بحقيقة قانون أو نظرية إذا حقق تطبيقات عملية ، وبهذا المعنى تقترب البراغماتية من العقلانية.

ومن الفلاسفة الذين أذاعوا صيت المذهب البراغماتي الفيلسوف الأمريكي وليم جيمس . يقول جيمس: " الحق يقوم فيما هو مفيد (نافع) للفكر ، كما أن العدل يقوم فيما هو نافع للسلوك ، و أقصد بمفيد أنه : مفيد بأية طريقة ، مفيد في نهاية الأمر في المجموع ، لأن ما هو مفيد للتجربة المقصودة الآن لن يكون كذلك بالضرورة و بنفس الدرجة بالنسبة إلى تجارب لاحقة.

موقع الوحي من مصادر المعرفة :

دأب دارسو نظرية المعرفة ـ فلسفياً أو علمياً ـ على حصر مصادرها في (الحس و العقل) كما دأبوا على استعراض الصراع الفكري و الجدلي بينهم في أن المصدر هو الحس فقط أو هو العقل فقط أو هما معاً.

و كان هذا لأنهم استبعدوا الفكر الديني أو المعرفة الدينية من مجال دراساتهم و لأنّا نؤمن بالدين الإلهي تتربع المصادر لدينا كالتالي : (الوحي و العقل و الحس و الإلهام أو الحدس).

إنّ المعنى الاصطلاحي الذي نقصده و نهدف إليه من الوحي هو ما يلقيه الله إلى أحد أنبيائه و رسله ؛ نحو إنزاله القرآن على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم و إنزاله الإنجيل على سيدنا عيسى و إنزاله التوراة على سيدنا موسى و إنزاله الزبور على سيدنا داود عليهم السلام .

و إذا اقتصرنا على ما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم فإننا نجد أنّ الوحي ينقسم إلى قسمين هما :

١. القرآن الذي أنزل عليه بلفظه و معناه كما سيأتي .
٢. السنة التي أوحيت إليه من الله بمعناها و إن كان اللفظ من قبله

أولا : ضرورة الوحي :

و تتجلى ضرورة الوحي مصدرا للمعرفة في ما يلي :

١. <u>أن الوحي ممكن في نظر العقل</u> : لأن العقل ذاته يسلم بأنه محدود بعالم الشهادة و قوانينها ، ولا يستطيع إنكار ميدان آخر و طريق آخر للمعرفة ، كما ان العقل من خلال قوانينه يحكم بوجود عالم الغيب.

٢. <u>لا كفاية في العقل</u> : لأن العقول قاصرة عن إدراك مختلف جوانب و مجالات الحياة و الكون.

ثانيا : الحاجة للوحي :

١- الحاجة إلى الوحي في الاعتقاد . ٢- الحاجة على الوحي في التشريع . ٣- النبوة فيها حجة على الخلق .

إمكان المعرفة

مقدمـــة :

السؤال عن إمكان المعرفة هو سؤال عن جوهر المعرفة و مضمونها ، وهو الحقيقة - أي هل يمكننا أن ندرك الحقيقة ؟ وهل المعرفة ممكنة ؟ وهل في وسع الإنسان أن يعرف شيئا ؟

إن مسألة إمكان المعرفة لم تكن مطروحة في الفكر البشري قديما. وكان أول من بدأ البحث في مسألة إمكان المعرفة هم الفلاسفة اليونان ، و تحديدا الذين عرفوا بالسفسطائيين أو الشكاك . وهؤلاء الفلاسفة (كانوا ينكرون قطعية المعارف الانسانية ، وقد تطور الشك إلى أن أصبح مذهبا من المذاهب ، وقد بلغ اشده على يد بيرون ، صاحب المذهب لاشكي عند اليونان حتى أنه لقب بإمام الشكاكين).

أما فلاسفة المسلمين و متكلموهم ، فقد (بحثوا في إمكانية المعرفة ، وقد جعلوا مداخل كتبهم في العلم ، وفي إثبات العلم و الحقائق . وكأن مسالة الإمكان أصبحت ضرورة تسبق بقية أبحاث المعرفة ، ذلك لأنه – في نظرهم - لا بد من التسليم بإمكان المعرفة حتى يتسنى البحث في بقية مسائلها ، إذ أن من ينكر إمكان المعرفة لا يستطيع أن يتحدث عن طبيعتها و مصادرها ، وإن الذي يتيقن من إمكان المعرفة يحق له أن يبحث في كافة موضوعاتها).

إن خير ما يدل على نظرة إمكان المعرفة و يقينيتها دعوتهم إلى عدم مناظرة السوفساطائيين و مجادلتهم ، لأن من لا يعلم مدى إمكانية صحة كلامه في المناظرة ، فكيف سيتم حواره. يقول الإيجي : (المناظرة معهم قد منعها المحققون ؛ لأنها إفادة المعلوم بالمجهول و الخصم لا يعترف بمعلوم حتى تثبت به مجهولاً).

و يمكن تحديد ثلاثة اتجاهات أساسية عند الحديث عن مسألة إمكان المعرفة :

١. فريق شك شكا مطلقا في إمكان المعرفة .
٢. فريق يرى يقينية المعرفة ، وهم الاعتقاديون أو الدغمائيون .
٣. فريق ثالث يرى أنه بإمكان الانسان أن يصل على معرفة متناسبة مع قدراته الحسية و العقلية وهم النسبيون .

مذهب الشك في إمكان المعرفة (Skepticism):

١. الشك المطلق :

بالرغم من أن الشك في أصله هو التردد في إصدار حكم بغرض الإمعان و التفحص ، وهو ما يطابق معنى اللفظ اليوناني . إلا أن الشك القديم لم يكن يحمل هذا المعنى كما أنه اتخذ معنى جديداً في وقت لاحق .

فالصراع و التضارب بين المتناقضات الفلسفية في الفكر اليوناني كان سببا لبلبلة فكرية و ارتياب جذري ، انتهت بهم على إنكار جميع الركائز الفكرية للإنسان و إنكار المحسوسات و البديهيات.

و أول من ظهر على يديه هذا المذهب هو بيرون أو فيرون (Pyrrhon). وقد وضع جورجياس (٣٨٠ ق.م) كتابا تحدث فيه عن عدم إمكان المعرفة ، و عدم الوثوق بالعقل و الحواس .

ثم جاء السوفساطئون و أنكروا وجود مقياس ثابت للحقائق ، و رأوا امتناع وجود حقيقة مطلقة ، و شكوا في كل شيء. و تحولت السفسطة على عبث بالفكر و العلم . و كانت هذه الطائفة تؤمن بالبحث و الجدل و أحيانا يصل بهم الجدل على إنكار أنفسهم أيضا.

فعاشوا تناقضا بين وجودهم و تصوراتهم ، ففي الوقت الذي ينكرون فيه كل حقيقة ، تجدهم يلبون حاجاتهم البيولوجية دون ان ينكروا ذلك.

وهذه المدرسة تنكر إمكان معرفة طبيعة الأشياء ، و ترى أن المعرفة الحسية و العقلية ليس لها قدرة تعريفنا بالحقيقة و إيصالنا إليها ، فنحن لا ندرك من الأشياء إلا ما (يبدو) لنا. وكأن الأشياء خارج الذات المدركة محض مظهر ، أما إدراك طبيعة ذوات الأشياء فلا سبيل إليه.

ذلك لأن المعرفة - في رأي هذه المدرسة - تتأسس على الإدراك الحسي و الحواس خادعة لا تقود إلى معرفة يقينية و حتى النظر العقلي - عند الفيرونيين - يتأسس على الحس فمعرفته حسية غير مباشرة ومن ثمّ يكون أولى أن ينطبق عليه ما ينطبق على الحس من حيث عدم يقينية المعرفة.

ولذلك كان شكهم شكا مذهبيا (مطلقا) ، بمعنى انه يقوم على اساس أن الشك غاية في ذاته.

٢. الشك المنهجي :

(الذي لا يعتبر الشك غاية في ذاته ، بل يعتبر الشك وسيلة ليتوصل من خلاله إلى غاية أخرى وهي بلوغ اليقين).
و يرجع هذا الشك في جذوره التاريخية إلى الفيلسوف اليوناني سقراط . كما استخدم أرسطو و مدرسته المشائية الشك استخداما منهجيا تأثرا بسقراط . إذ رأى أن اليقين المنطقي يجب أن يقوم على الشك كمنهج في فحص الأفكار و التأكد من قابليتها للتعميم .

و عرف الشك المنهجي في حقل المعرفة الإسلامية عند المعتزلة ، إذ كانوا يشترطون الشك كمقدمة ضرورية لصحة النظر المؤدي إلى العلم ، إذ لا يصح النظر عندهم إلا مع الشك.
أما أبو حامد الغزالي فقد سلك طريق الشك بحثا عن اليقين ، وقد قرر في كتابه (المنقذ من الضلال) أن من لم يشك لم ينظر ، ومن لم ينظر لم يبصر ، ومن لم يبصر بقي في العمى .
وكان ديكارت من أكثر الفلاسفة تأكيدا على ضرورة الشك كمنهج في التفكير ، وهو إلى جانب الغزالي يعتبران واضعي أسس الشك المنهجي ، وكان هذا الشك هو التمهيد الضروري للمنهج .
و يعتبر الفيلسوف التجريبي ديفد هيوم من فلاسفة الشك المنهجي الذي سماه بالشك العلمي .

خلافاً لأصحاب الشك المطلق الذين يقعون في الحيرة فيمتنعون عن إصدار الأحكام ، فإن أصحاب الشك المنهجي قد اتخذوا من الشك سبيلاً إلى اليقين ، وهو عملية اختيارية هدفها إفراغ العقل مما فيه من معلومات سابقة قد تكون عرضة للمغالطة و عدم التأكيد ، وذلك لتهيئة العقل لدراسة الأمور دراسة موضوعية غير متأثرة بالمفاهيم الشائعة و الأخطاء المألوفة .

القيمة العلمية للشك المنهجي :

بعد أن تلاشى الشك بوصفه نظرية في المعرفة توطدت أركان الشك بوصفه منهجاً للبحث و التدقيق في المعرفة ، و تمدد بأدواته من الشك المعرفي (الشك الإبستمولوجي)، بوصفه موضوعاً فلسفياً إلى شك منهجي يحفز الإنسان للبحث و النظر و التدقيق ؛ ليشمل العلوم النظرية و التجريبية كافة ، سواء تلك التي تولدت عن الفلسفة و استقلت عنها أو تلك التي نشأت مستقلة بذاتها.

مجـالات الشـك :

بمدارسة نوعي الشك (مطلق – منهجي) تبين لنا أن الشك المطلق هو شك في أصل المعرفة و إمكانيتها لذا يُسمى (بالمعرفي) لإنكاره إمكان المعرفة أو (الفلسفي و المذهبي) لكونه مذهباً فلسفياً يعتقد صاحبه بانتفاء موضوع المعرفة و استحالة إدراكها ، وفي مقابله نشأ الشك المنهجي بوصفه منهجاً للبحث عن الحقيقة لذا سُمي أيضاً (بالعلمي) وهو لا ينتقص من يقينية أصحابه بوجود حقيقة يمكن معرفتها ، ومن هذه العلاقة الجدلية بين الإطلاق و النسبية يثور التساؤل حول المجالات التي يمكن أن يتطرق إليها الشك بل التي طرقها بالفعل .

ومجالات الشك تختلف في دائرة الشك المطلق عنها في دائرة الشك النسبي (المنهجي).

مجالات الشك المطلق :

أ- الشك في الحقيقة التي هي موضوع المعرفة ، وهو شك في وجودها .
ب- الشك في إمكان معرفة الحقيقة (إن وجدت).
ج- الشك في إمكان إبلاغ المعرفة أو تداولها.

مجالات الشك النسبي :

بعد التسليم بوجود حقيقة و إمكان إدراكنا لها ، يظل الباب مفتوحاً لألوان من الشك النسبي أو الجزئي ومن ذلك :

أ) الشك في طبيعة المعرفة : و مصدره تباين المذاهب في تكييف طبيعة المعرفة مما يوقف الفلاسفة موقف الشك تجاه هذا التباين.

ب) الشك في مصادر المعرفة : فإنكار كل مذهب و مدرسة فلسفية لمصدر أو أكثر من مصادر المعرفة هو شك في جدوى هذا المصدر، و مدى يقينية المعرفة المتأسسة عليه ، فمن أصحاب المذاهب من يصب شكه على الحواس ، ومنهم من يشك في العقل ، ومنهم من يشك فيما سوى الحدس و الإشراق ، وكل ذلك من صور الشك.

ج) الشك طريق إلى اليقين: وهو شك في المعلومات و الآراء المسبقة و هدفه إفراغ العقل توطئة لإعماره بحقائق يقينية تتأسس على بديهيات أولية ، وهذا هو الشك الذي عاشه الغزالي و حالة إفراغ الذهن أيضاً مرّ بها ديكارت حتى استقر على نقطة من اليقين في حقيقة تفكيره التي أسّس عليها حقيقة وجوده (أنا أفكر إذن أنا موجود).

د) تأسيس العقيدة بين الفطرة و الشك و النظر : وهدف هذا الشك و مجاله ليس المعرفة النظرية و إنما تأسيس إيمان يقيني بالله. فالإمام الجويني يرى أن أول واجب على المكلف هو النظر - وهو رأي المعتزلة - بينما يرى الإمام الإيجي أن المعرفة تتقدم و طريقها النظر ومن ثم يكون واجباً ، ولكن الإيجي لا يرى النظر هو السبيل الوحيد إلى المعرفة فقد تحصل بالإلهام و التصفية و التعليم ، ولكنه قد يكون السبيل الوحيد لمن وقع في الشك و الشك على العموم حالة طارئة لا يلزم سبقه لكل نظر أو معرفة .

أما شيخ الإسلام ابن تيمية فيرى أن للفطرة أثراً أساسياً في معرفة الله ، ثم من حصل له الشك ولم يكن من سبيل لدفعه سوى النظر ؛ يلزمه النظر - فهو يوافق رأي الإيجي - كما يرى الشك أمراً عارضاً علاجه النظر - وفي ذلك يوافق القاضي عبد الجبار - مع تحذيره من عواقب إتاحة النظر للعامة لصعوبة طرقه ، وما قد يثيره في نفوس جمهور الخلق .

فالشك إذن تتعدد صوره و مجالاته من كلّي إلى جزئي ، ومن مطلق إلى نسبي، فيصل في قمته إلى درجة إنكار الحقائق الموضوعية وفي أدنى منازله يكون شكاً في وسيلة من وسائل تحصيل المعرفة أو أداة من أدواتها و يتلون اسمه بحسب نوعه و مجاله فالمتعلق بأسس الاستنباط يكون منطقياً و ربما كان جزئياً متعلقاً بالأسس المعرفية كالتجريبي ، وغير ذلك من الأنواع .

موقف الفكر الإسلامي من الشك المطلق (المذهبي) :

الشك المطلق هو الشك المبني على إنكار المعرفة اليقينية و نفي الحقائق و القول بتكافؤ الأدلة ومن ثم تعليق إصدار الأحكام . وهذه الصورة من الشك وصلت إلى مفكري الإسلام إثر حركة الترجمة مثلما وصلت إليهم ردود سقراط و أفلاطون و أرسطو على هؤلاء الشكاك و المغالطين وفي إطار التفاعل مع تراجم الفلسفة اليونانية :

١- علاقة الشك المطلق بإمكان المعرفة : الحديث عن موقف الفكر الإسلامي من الشك المطلق ، هو حديث عن الموقف من إمكان المعرفة - بالضرورة - لطبيعة العلاقة بين الشك المطلق و إمكان المعرفة أو لكونهما على النقيض فإثبات أحدهما نفي للآخر .

الوجود و إمكان معرفته (التصور الإسلامي للموجودات): إذا كان الشكاك الأوائل قد وصل بهم أمر الشك المعرفي إلى حد إنكار الوجود نفسه و الأشياء و إمكان إدراك طبيعة ذوات الأشياء ، فإن الفكر الإسلامي يقف موقفاً مغايراً لهذا التصور ، إذ يقرر استنادا إلى القرآن وجوداً مستقلاً للأشياء خارج نطاق الذات المدركة إذ يقول تعالى : (قل إن الموت الذي تفرون منه فإنه ملاقيكم ثم تردون إلى عالم الغيب و الشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون) [النحل: ٨]

فهذا الخلق الرباني موجود من حولنا أحاط به إدراكنا أو لم يحط ، أما التقسيم اليوناني للأشياء إلى : فيزيقية (طبيعية) و ميتافيزيقية (ما ورائية أو ما وراء الطبيعة).

فلا يبعد كثيراً عن التصور الإسلامي مع خصوصية المعاني و المفردات حيث تنقسم الأشياء إلى :

١- عالم الشهادة : و يشبه مفهوم عالم الطبيعة الخاضع لإدراك الإنسان بالحس و التجربة و الشهادة هي الخبر القاطع .
٢- عالم الغيب : و يشبه مفهوم العالم الماورائي ، وهو ما غاب عن الإنسـان ، ولم يدركه بحسه و إنما بإخبار من الله و رسوله.

و لفظا الغيب والشهادة - مع تقابل المعنى و ردا تجاوراً في كتاب الله في عشرة مواضع ، و جميعها وردت في بيــان اختصاص الله تعالى بالعلم المطلق (غيب وشهادة) و المعرفة الكلية لا يتاح لبشر من خلقه أن يحيط بها على وجه الشمول و اليقين .

٢- الأساس القرآني لإمكان المعرفة :

القرآن يحمل الشواهد التي تؤكد على إمكان المعرفة و إدراك الحقائق على وجه اليقين ، بمصادر و أدوات و نقف هنا على شواهد من الآيات التي حملت ألفاظاً ذات دلالات معرفية في سياقها المصطلحي ممثلين بآية واحدة لكل لفظ من ألفاظ (المعرفة) و (العلم) و (الحكمة) و (اليقين) ، ومن ذلك قوله تعالى: (وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين)[المائدة: ٨٣]، (وما لهم به من علم إن يتبعون إلا الظن وإن الظن لا يغني من الحق شيئا) [النجم: ٢٨]. ذلك مما ورد في شأن المعرفة و العلم ، وفي شأن الحكمة قال تعالى: (يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً) [البقرة: ٢٦٩]. و الحكمة قد فسرها المفسرون (بإصابة الحق و العمل به).

وفي شأن اليقين وتناقضه مع الظن يقول تعالى : (وإذا قيل إن وعد الله حق والساعة لا ريب فيها قلتم ما ندري ما الساعة إن نظن إلا ظنا وما نحن بمستيقنين) [الجاثية: ٣٢].

كذلك أبان القرآن العلاقة بين الشك و اليقين و العلم و الظن في مقابلة بليغة حوتها آية واحدة في قوله تعالى:
(وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم به من علم إلا اتباع الظن وما قتلوه يقينا بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزا حكيما) [النساء: ١٥٧].

و إذا استصحبنا تداخل المعاني بين ألفاظ المعرفة و الحكمة و العلم في النصوص الشرعية و الفكر الإسلامي عموماً ، علمنا أن القرآن يحض على طلب العلم الراسخ و المعرفة اليقينية و يدعو إلى نبذ الظنون و الشك و التوهم ما أمكن ذلك و النصوص الحاضة على العلم و التفكر و التأمل كثيرة في كتاب الله تعالى و سنة نبيه ﷺ ، ومن أدوات المعرفة التي أشادت بها النصوص (الاجتهاد في الرأي) و (الاستنباط) المبني على أسس النصوص و أصولها ، و الصادر ممن هو أهل لذلك ، فقد قال تعالى ناسباً إلى الأئمة المجتهدين القدرة على معرفة مراده .

مذاهب التيقن (Dogmatism) :

بذل الفلاسفة و الباحثون منذ القدم محاولات عديدة لنقض مذهب الشك ، وقد صوروا ادعاء الشك باستحالة المعرفة ادعاءً باطلا.

وقد تمكن دعاة اليقين و الجزم من القضاء على الشك من حيث هو نظرية في المعرفة ، ولكن الشك المنهجي بقي عند الكثيرين منهجا مقبولا في التفكير و بقيت له قيته في البحث من حيث هو منهج وليس مذهبا.

و يسمى التيقن أيضاً بالاعتقادي أو اليقيني أو القطعي أو النزعة التوكيدية أو الإيقانية أو القطعية لاختلاف في الترجمة ، وقد يُعَرَّبُ اللفظ عوضاً عن ترجمته ؛ فيقال (دوجماتي) أو (النزعة الدوجماطيقية).

الاعتقاديون في المصطلح المعاصر هم أنصار المذهبين العقلي و التجريبي تحديداً. و تطورت صفتهم الفلسفية من خصوم للشكاك في العصور القديمة إلى خصوم للنقديين في العصور الحديثة ، كما انقسموا إلى عقليين يعدُّون العقل مصدراً و حيداً للمعرفة لا مجال معه للخبرة أوً الحواس أو تجريبيين يعدُّون التجربة الحسيّة مصدراً وحيداً للمعرفة.

أ. اليقينية (الدوغمائية) العقلانية : يذهب العقليون إلى إمكانية وصول العقل على معارف أولية قائمة بذاتها ، لا يعتريها الخطأ و النسبية ، كالمعارف الرياضية التي تثبت بداهة. وهذا العقل قادر على إدراك الحقائق الموضوعية دون الحاجة على مساعدة الحواس التي من شأنها أن توقع الإنسان في احتمالات الخطأ أو النسبية في الحكم. فالعقليون يؤمنون بالمعارف العقلية في الدرجة الأولى ، أما المعارف الحسية فإنهم لا ينكرونها ؛ و إنما لا يثقون بجدواها في قيام العلم .

ب. اليقينية (الدوغمائية) التجريبية : هي النوع الثاني من النظريات اليقينية ، وهي تعبر عن مواقف التجريبيين الذين اكدوا إمكان المعرفة عن طريق التجربة ، و تصوروا أن افكارنا كلها من صنع العالم الخارجي . و يعتبر جون لوك من القائلين بإمكان المعرفة من التجربة الحسية و الخبرة.

المذهب النسبي (النقدي) :

يتفق النسبيون مع القائلين بإمكان المعرفة و وجود الحقيقة. ولكن هذه الحقيقة أو المعرفة الإنسانية لا تعدو ان تكون معرفة نسبية ، بمعنى أنها ليست خالصة من الشوائب الذاتية وليست مطلقة ، إنما هي مزيج من الناحية الموضوعية للشيء و الناحية الذاتية للكر المدرِك ، فلا تنفصل الحقيقة الموضوعية في التفكير عن الناحية الذاتية.

إن نسبية المعرفة كما يراها أصحاب هذا المذهب ، تعني أننا لا نستطيع أن نعرف كل شيء ، فإذا عرفنا بعض الأشياء لن نستطيع أن نحيط بها إحاطة تامة ، وما من فكرة في العقل إلا وكان إدراكها تابعاً لمعارضتها بفكرة سابقة مختلفة عنها او شبيهة بها ؛ لذلك كان من المحال إدراك المطلق لأنه لا يتصور وجود شيء خارجه حتى يعارض به.

و يعتبر كانط رائداً لهذا المذهب ، وهو يعتمد على فكرة التأليف بين العقل و الأشياء أو بين الذات و الموضوع. و المعرفة اليقينية عن العالم الخارجي ممكنة عند كانط ، بشرط أن لا تتجاوز حدود ظوتهلا الأشياء كما تتلقاها الحواس و يعتبر انشتاين من اشهر دعاة المذهب النسبي في إمكان المعرفة.

طبيعة المعرفة

سؤال طبيعة المعرفة :

شغل السؤال عن طبيعة المعرفة الإنسانية و حقيقتها العديد من الفلاسفة و الباحثين ، و حاولوا الإجابة عنه بطرق مختلفة ، وذلك لبيان كيفية العلم بالأشياء ، أي كيفية اتصال القوى المدركة لدى الإنسان بموضوعات الإدراك و علاقة كل منهما بالأخر.

فهل المعرفة في النهاية ذات طبيعة مثالية يرتبط فيها وجود المعرفة بوجود العارف ؟
أم أنها ذات طبيعة واقعية تستقل فيها المعرفة عن العارف ؟
أم أنها ذات طبيعة عملية ترتبط بمدى الانتفاع منها ؟

و هنا انقسم الفلاسفة و الباحثون في مسألة طبيعة المعرفة إلى ثلاثة أقسام ، هي :

المذهب المثالي و المذهب الواقعي و المذهب العملي (البراغماتي).

المذهب المثالي (Idealism) :

ترجع أصول المثالية على أفلاطون الذي (اعتقد بوجود عالمين : العالم الحقيقي الذي توجد فيه الافكار الحقيقية المستقلة و الثابتة و العالم الواقعي الذي هو ظل للعالم الحقيقي).

و يتفق المثاليون في تصورهم لطبيعة المعرفة وفي اتجاههم العام نحو النظر إلى الأشياء الطبيعية باعتبارها غير مستقلة بنفسها ، ولا تقوم بذاتها ، و إنما تعتمد في وجودها على العقل أو الذهن . ولذلك ، فإن الحقيقة النهائية تكون في نظرهم ذات طبيعة عقلية أو ذهنية .

و انطلاقا من نظرتهم الازدواجية للعالم فإن المثاليين ينظرون نظرة ازدواجية للإنسان أيضاً ، أي أنه مكون من عقل و مادة

و بما أن الإنسان جوهره العقل ، و أن الحواس مشكوك في صحتها و دقتها ، و أن الأشياء لا معنى لها من غير العقل البشري ، إذا فإدراك الإنسان أساسه العقل مستقلا عن التجارب الحسية .

و كلما كانت المعرفة مجردة عن الإدراكات الحسية كلما سمت و ارتقت و كانت أكثر ثباتاً و يقيناً.

و يقوم المذهب المثالي في المعرفة على أساس أننا (إذا أردنا أن نعرف الواقع أكثر ، و نفهم طبيعته و نتبصر حقيقته بشكل أعمق ؛ فلن يكون ذلك بالبحث في العلوم الطبيعية بما فيها من اهتمام بالمادة و الحركة و القوة ، و إنما يكون بالاتجاه نحو الفكر و العقل و الالتزام بالقوى المثالية و القيم الروحية لدى الانسان).

وقد ظهر المذهب المثالي في صور شتى ، من أهمها : المثالية التقليدية (المفارقة) و المثالية الذاتية و المثالية النقدية و المثالية الموضوعية (المطلقة).

١. **المثالية التقليدية (المفارقة) :** مرتبطة بأفلاطون ، و تعني : ان هناك وجودا مثاليا للأشياء ، و أن وجود هذه المثل هو وجود مفارق للأشياء الواقعية. و أن الطبيعة الحقة للشيء لا توجد في الظواهر التي تقدمها الحواس ، بل توجد في المثال ، وبذلك لا يمكن معرفتها إلا عن طريق العقل وحده .

و يميز أفلاطون بين نوعين من المعرفة ، المعرفة الظنية : وهي المعرفة بعالم الأشياء المادية التي تأتي إلينا عن طريق الحواس و تتصف بالتغير و تتعلق بالمظهر ، و المعرفة اليقينية : وهي المعرفة بعالم المثل المفارق للمادة ، و تأتي إلينا عن طريق العقل و تتميز بالثبات و ترتبط بالحقيقة .

٢. المثالية الذاتية : جاءت في العصور الحديثة ، و بالتحديد في أواخر القرن ١٧ م ، على يد (باركلي) الذي يلخص نظرته لطبيعة المعرفة في عبارته المشهورة : (أن يوجد هو: يعني أن يُدرِك أو أن يُدرَك). إذ يرى أن وجود الشيء هو إدراكه ، و أن الشيء ليس له وجود مادي مستقل عن إدراكنا له و أنكر وجود العالم المادي مستقلا عن الإدراك.
و الحقيقة أن هذه النظرية تلغي المعرفة الإنسانية من ناحية موضوعية بشكل تام ، لأنها لا تعترف بموضوعية الفكر و الإدراك ، و وجود الشيء خارج حدودها.

٣. المثالية النقدية : ارتبطت تسميتها في العصر الحديث بعمانويل كانط ، و المثالية النقدية نوع خاص من المثالية ترى ضرورة البدء بفحص العقل و معرفة حدوده و معرفة قدراته قبل الوثوق به و الاعتماد عليه و استخدامه في تحصيل المعرفة. و يرى كانط أن (التصورات العقلية تكون فارغة إذا لم ترتبط بالادراكات الحسية ، و أن الادراكات الحسية تكون عمياء إذا لم تعتمد على التصورات العقلية و إذا كانت عملية الإدراك لا تتم إلا بالترابط بين الصور العقلية و المدركات الحسية ، فمعنى هذا أننا لا نستطيع أن نعرف إلا ظواهر الأشياء ، أما الأشياء ذاتها فلا سبيل لنا لمعرفتها ، لأن الحواس لا تقدم لنا غلا ما يظهر من الأشياء و العقل لا يستطيع أن ينفذ من وراء الظواهر ليكشف الواقع الحقيقي .

٤. المثالية الموضوعية (المطلقة) : ترتبط بالفيلسوف هيجل ، الذي أكد ان استخدامنا لنظام المنطق بصورة دقيقة هو الذي سيوصلنا على الفكرة المطلقة. و المثالية المطلقة هي الاتجاه الفلسفي المثالي الذي يذهب إلى أولوية الروح على المادة ، و يرى أن المصدر الأول للوجود ليس هو العقل الإنساني الشخصي ، و إنما هو العقل الكلي أو الروح المطلقة.

وهكذا يتفق هيجل مع المثاليين جميعاً في نظرتهم إلى طبيعة المعرفة باعتبارها في النهاية معرفة عقلية أو روحية ، وفي نظرتهم إلى الواقع باعتباره في النهاية تجسيدا للعقل أو الروح .
ومن ثم فلا سبيل على فهمه إلا من خلال العقل ، المصدر الوحيد للوجود و المعرفة معاً .

المذهب الواقعي (Realism) :

تقوم فكرة المذهب الواقعي على أن مصدر كل الحقائق هو هذا العالم الذي نعيش فيه (عالم الواقع) ، أي عالم التجربة و الخبرة اليومية ، و يعتبر أرسطو ابا للواقعية.
و يعود الأصل في تسمية المذهب بالواقعي إلى الأساس الذي قام عليه هذا المذهب ، وهو الاعتقاد في المادة . فالحقيقة موجودة في هذا العالم (عالم الاشياء الفيزيقية) و وجودها حقيقي واقعي يقوم على ثلاثة أسس رئيسية ، وهي :

١. أن هناك عالم له وجود لم يصنعه أو يخلقه الإنسان ، ولم يسبقه وجود و أفكار مسبقة
٢. أن هذا العالم الحقيقي يمكن معرفته بالعقل الحقيقي ، سواء بالعقل الإنساني أو الحدس أو التجربة.
٣. أن هذه المعرفة يمكن أن ترشد و توجه السلوك الفردي و الاجتماعي الضروري للانسان .

و يرى المذهب الواقعي أن (ماهية المعرفة ليست من جنس الفكر او الذات العارفة ، بل هي من جنس الوجود الخارجي ، إذ أن للأعيان الخارجية وجوداً واقعياً مستقلاً عن أي عقل يدركها ، و أن العقل إنما يدركها على ما هي عليه بقدر طاقته).

المذهب العملي (Practicalism) :

إن المعرفة على مذهب المثاليين أو الواقعيين لا تؤدي بك على عمل تعمله ، أي لا تتضمن سلوكا معينا يقوم به الشخص العارف ، ومن هنا كان الفلاسفة يفرقون بين الفكر و العمل ، فيقولون : إن رجل الفكر قد لا يكون رجلا عملياً ، و رجل العمل قد لا يكون صاحب فكر ، إيمانا منهم بان المعرفة شيء لا يستدعي بالضرورة سلوكاً معيناً في الحياة العملية .

أما المذهب العملي أو البراغماتي فقد (غيّر النظرة على طبيعة المعرفة ، حيث جعل المعرفة أداة للسلوك العملي ، أي أن الفكرة من افكارنا هي بمثابة خطة يمكن الاهتداء بها للقيام بعمل معين و الفكرة التي لا تهدي إلى عمل يمكن أداؤه ليست فكرة ، بل ليست شيئا على الاطلاق ، غلا أن تكون وهماً في رأس صاحبها).

و المذهب البراغماتي يمثل إحدى المدارس الفلسفية و الفكرية التي نشأت في الولايات المتحدة الأمريكية بداية القرن ١٩م ، و تتميز البراغماتية بالإصرار على النتائج و المنفعة و العملية كمكونات أساسية للحقيقة. و يعتبر (تشارلز بيرس : ١٨٣٩-١٩١٤) أول من ادخل لفظة براغماتية للفلسفة. و ذهب وليم جيمس إلى أن المعرفة العملية هي المقياس لصحة الأشياء ، و أن البراغماتية تعني إمكانية البحث المتاحة ضد الوثوقية التعسفية و اليقينية الجازمة و ادعاء النهائية في الحقيقة.

أما جون ديوي ، وهو المنظر الحقيقي للبراغماتية فيرى أن العقل أو التجربة الحسية ليسا أداة للمعرفة ، و إنما هما أداة لتطور الحياة و تنميتها ، فليس من وظيفة العقل أن يعرف ، و إنما تكمن وظيفته في خدمة الحياة ، و تكمن آثار المعرفة في مدى إمكانية تطبيقها و توظيفها عمليا .

و لها فإن طبيعة المعرفة عندما نتأمل القرآن نجد أن المعارف ثلاثة أنواع :

١- هناك ما هو فطري : وهو العلم الضروري الذي خلقه الله تعالى مركوزا في فطرة الإنسان ومنه العلم بالبدهيات العقلية و بالله و بالأسماء يقوا تعالى : {َ وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاء كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلاَئِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاء هَـؤُلاء إِن كُنتُمْ صَادِقِين }٣١ البقرة.

٢- علم النبوة : وهو العلم الرباني الذي وصل إلى الإنسان من طريق الوحي :ُ{ كَذَلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ اللّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيم }

٣- المعارف الاكتسابية : وهي المعارف التي يكتسبها الإنسان من الوحي أو الكون أو كليهما بالحس و التجربة و العقل و الحدس ، { وَاللّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لاَ تَعْلَمُونَ شَيْئاً وَجَعَلَ لَكُمُ الْسَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُون } ٧٨ النحل.

وقفة نقدية :

- نلاحظ أن المذاهب الثلاثة السابقة ركزت على جانب و أهملت جانبا آخر أو جوانب أخرى تتعلق بطبيعة المعرفة ، لأنها نظرت بطريقة تجيزئية للإنسان (العارف) و لموضوع المعرفة ، فبعضها اعتد بالعقل و أهمل الواقع ، و البعض تشبث بالواقع و جعل العقل لا دور له إلا التصديق على الواقع و البعض جعل المعرفة الحقة ما كنت تحقق منافع مجسدة ، ولا عبرة بصحة المعرفة في ذاتها أو مطابقتها للواقع أو يقينيتها العقلية أولا .

- ولو تأملنا القرآن الكريم لوجدناه يقرر أن للأشياء وجودا واقعيا مستقلا عما في الذهن البشري ، أدركه الإنسان أم عجز عن إدراكه ، و عدم إدراك الإنسان لبعض الأشياء لا يقتضي عدمها.

- أي أنه ليس كل موجود يمكن معرفته ، فهناك من الموجودات ما لا سبيل لوسائل المعرفة الإنسانية إلى معرفتها ومن هنا كانت تبعية نظرية المعرفة لنظرية الوجود في القرآن ، فما هو موجود لا يتعلق وجوده بمعرفة الإنسان له أو عدمها ، فالموجودات أكبر من أن يلم بها أو يحصيها أو يدركها العقل البشري . (وما أوتيتم من العلم إلا قليلا)

- ثم أن طبيعة المعرفة تقتضي ميداناً لدراستها وهذا الميدان- و بحسب نصوص القرآن الكريم - اما أن يكون في عالم الغيب و اما أن يكون في عالم الشهادة ، و طبيعي أن البحث في عالم الغيب محدود ، إذ أعفي الإنسان من الدخول في تفاصيله بحسبان ذلك خارجاً عن نطاق طرائق المعرفة لديه من حس وعقل على وجه التحديد ، و يبقى أمامه مصدر الوحي و طريقته ما دام واثقاً من أحقيته في ذلك أما عالم الشهادة فهو الميدان الحقيقي للبحث .

مناهج المعرفة
(المنطق الصوري و المنطق الرمزي)

مقدمة : مفهوم المنهج :

تعريف المنهج : المنهج Method يقال : منهج - بفتح الميم ، و منهج - بكسرها. و يقال أيضا : منهاج - بكسر الميم ، و الألف بعد الهاء . وهو في اللغة العربية : الطريق الواضح .

و أضاف إليه المعجم اللغوي العربي الحديث معنى آخر، هو: (الخطة المرسومة) ، و لعله أفاد هذا من التعريف العلمي له أو من الترجمة العربية لكلمة Method الإنجليزية بسبب اشتهارها في الحوار العلمي العربي ، وهي تعني الطريقة و المنهج و النظام .

وعرف المنهج علميا بأكثر من تعريف ، منها :

١ - المنهج : هو خطوات منظمة يتخذها الباحث لمعالجة مسألة أو أكثر و يتتبعها للوصول إلى نتيجة.
٢ - و المنهج : (وسيلة محددة توصل إلى غاية معينة) .
٣ - و المنهج : (طائفة من القواعد العامة المصوغة من أجل الوصول إلى الحقيقة في العلم).
٤ - البرنامج الذي يحدد لنا السبيل للوصول إلى الحقيقة .

٥ - الطريق المؤدي إلى الكشف عن الحقيقة في العلوم .
٦ - المنهج : (فن التنظيم الصحيح لسلسلة من الأفكار العديدة إما من أجل الكشف عن حقيقة مجهولة لدينا أو من أجل البرهنة على حقيقة لا يعرفها الآخرون).
٧ - و عرفه النشار في كتابه (نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام) بـ (طريق البحث عن الحقيقة في أي علم من العلوم أو في أي نطاق من نطاقات المعرفة الإنسانية).
٨ - و المنهج : (الطريق المؤدي إلى الكشف عن الحقيقة في العلوم بواسطة طائفة من القواعد العامة تهيمن على سير العقل و تحدد عملياته حتى يصل إلى نتيجة معلومة).

و نخلص من هذه التعريفات إلى أن: **المنهج** : مجموعة من القواعد العامة يعتمدها الباحث في تنظيم ما لديه من أفكار أو معلومات من أجل أن توصله إلى النتيجة المطلوبة.
و باختصار: **المنهج** : طريقة البحث.

أقسام المنهج :

يقسم المنهج إلى أقسام عديدة ، ومن بينها : المنهج النقلي و المنهج العقلي و الحسي ، ... ألخ ، ومن المناهج التي سندرسها في مقررنا : منهج المنطق الصوري و منهج المنطق الرمزي و المنهج الجدلي و المنهج الإشراقي و المنهج التجريبي .

المنطق الصوري :

تعريف المنطق :

- المنطق **Logic** و يسمى باليونانية **logiké** ، وعلم المنطق يسمى أيضاً علم الميزان ، إذ به توزن الحجج و البراهين ، وكان ابن سينا يسميه خادم العلوم ، كما كان الفارابي يسميه رئيس العلوم ، و كان الغزالي يسميه القسطاس المستقيم .

- أما اصطلاحاً فالمنطق « صناعة تعطي جملة القوانين التي من شأنها أن تقوّم العقل و تسدد الإنسان نحو طريق الصواب و نحو الحق في كل ما يمكن أن يغلط فيه من المعقولات ».

-و عموماً : المنطق هو **علم القوانين** الضرورية الضابطة للتفكير لتجنبه الوقوع في الخطأ و التناقض ، فهو يضع المبادئ العامة للاستدلال و للتفكير الصحيح ، كما يعرف بأنه علم قوانين الفكر .

-إذاً المنطق علم استدلالي يبحث في المبادئ العامة للتفكير الصحيح و تحديد الشروط التي بوساطتها يصح الانتقال من أحكام فرضت صحتها إلى أحكام تلزم عنها ، وهذه المبادئ تنطبق على كل فروع المعرفة.

- و يفرق المناطقة بين المنطق الصوري و المنطق المادي . فالصوري يشمل المنطق الأرسطي و التقليدي الذي شايع الأرسطي شرحاً و توضيحا و اتباعاً ، ثم المنطق الحديث ، أما المادي فهو علم مناهج البحث و يتضمن المنهج الرياضي الاستنباطي ، المنهج الاستقرائي التجريبي و المنهج التاريخي .

- و يعد أرسطو **Aristotle** المؤسس الأول للمنطق الصوري و استعمله أداة للبرهنة في بقية العلوم ، لأن موضوعه بنظره عقلي فالمنطق يدرس صور الفكر البشري بغض النظر عن مضامينها الواقعية .

- وهكذا فإن المنطق علم يوجه العقل نحو الحقيقة ، و يسمح له من خلال عملياته المختلفة (التصور البسيط و الحكم و التصديق و المحاكمة و الاستدلال)، بإدراكها من دون أن يقع في الخطأ أو في الضلال ، فالمنطق يدرس إذن عمليات العقل الثلاث من حيث الصحة و الفساد .

قوانين الفكر الأساسية :

- قانون الهوية : و يعني أن لأي شيء ذاتية خاصة يحتفظ بها من دون تغيير ، فالشيء دائماً هو هو (أ هو أ) فالهوية تفترض ثبات الشيء على الرغم من التغيرات التي تطرأ عليه ، فأنا هو الشخص ذاته الذي كنته منذ عشرين عاماً على الرغم مما طرأ علي من تغير .

- قانون عدم التناقض : ينكر هذا القانون إمكان الجمع بين الشيء و نقيضه ، فلا يصح أن يصدق النقيضان في الوقت نفسه وفي ظل الظروف نفسها ، إذ لا يصح القول إن هذا الشيء وفي هذا الوقت « أزرق » وليس « أزرق » [(أ) لا يمكن أن تتصف بأنها (ب) و بأنها (لا ب) معا].

- قانون الثالث المرفوع : و يعني أن أحد المتناقضين لابد أن يكون صادقاً إذ ليس هناك احتمال ثالث بجانب المتناقضين يمكن أن يكذبهما معاً ولا يوجد وسط بينها، فإما أن نثبت محمولاً معيناً لموضوع ما و إما أن ننفيه عنه.

وهذه القوانين هي شروط يجب أن يخضع لها التفكير ليكون يقينياً ، فهي مبادئ يعتمد عليها الاستدلال أياً كان نوعه.

مباحث المنطق الصوري :

و تشمل مباحثه : منطق الحدود أو التصورات ، منطق القضايا أو الأحكام منطق الاستدلال .

أولاً: منطق الحدود :

الحد هو وحدة الحكم الأساسية ، وتمثل الكيان العقلي الذي تقابله الإدراكات الحسية التي نفهمها من التصور و الحد في المنطق هو أحد أجزاء القضية ، كما في القضية (الحاسب آلة عصرية) لفظ « الحاسب » هو الحد الأول من حدود القضية و يسمى موضوعاً ، و « آلة عصرية » الحد الثاني من حدودها و يسمى محمولاً. و تنقسم الحدود إلى : المفرد و المركب و الخاص و العام (الجزئي و الكلي) و العيني و المجرد و المطلق و النسبي و الموجب و السالب و المفهوم و الماصدق).

ثانياً: منطق القضايا :
« القضية » : هي الجملة التي تعطي خبراً ، و يمكن الحكم عليها بأنها صادقة أو كاذبة ، و تقسم القضايا في المنطق إلى : القضايا الحملية و القضايا الشرطية.

ثالثاً: الاستدلال : وهو نوعان ، استدلال مباشر و استدلال غير مباشر .
و الاستدلال المباشر نوعان أيضاً ، التقابل و التكافؤ .
أما الاستدلال غير المباشر : فيقصد به القياس syllogism**.**

و القياس الأرسطي ، الذي تعبّر عنه علاقات جوهرية و ضرورية و أكيدة ، يصلح أداة للعلم و المعرفة اليقينية . أما إذا كانت مقدماته مبنية على آراء أو علاقات معقولة و محتملة ، فإنه يصلح أداة لجدل يحملنا إلى المعرفة المحتملة و الأمور الظاهرية ، و يسمح لنا ، نسبياً ، بالإجابة عن جميع الأسئلة المطروحة المتعلقة بالخاص و الفصل النوعي و العرض و الجنس و باستخراج النتائج الصحيحة من المقدمات استخراجاً من دون تناقض .

المنطق الرمزي :

تعريف المنطق الرمزي :

- المنطق الرمزي نمط جديد من الدراسات المنطقية جاء نتيجة التطورات العلمية الحديثة و خاصة في مجال الرياضيات.

- يسمى المنطق الرمزي Symbolic Logic بأسماء عديدة منها :

لوجستيقا Logistic أو جبر المنطق Algebra Of Logic أو المنطق الرياضي Mathematical logic أو المنطق الصوري الحديث New Formal Logic و كلها عبارات مترادفة

- و يسمى المنطق الرمزي لأن لغته الرموز لا الكتابة و الحديث و استخدام الرموز شرط ضروري لإقامة هذا المنطق ، لكنه شرط غير كاف ليكون رمزياً ، بل يجب – إلى جانب استخدام الرموز – أن يدرس العلاقات المختلفة بين الحدود في قضية ما ، و العلاقات المختلفة التي تربط بين عدة قضايا ، و وضع القواعد التي تجعل من القضايا التي يرتبط بعضها ببعض قضايا صادقة دائماً.

- و ترجع تسمية المنطق الرمزي باللوجستيقا إلى إتلسن Etelson و لالاند Lalande و كوتيرا Couturat في المؤتمر الدولي بباريس عام ١٩٠٤.
- وقد استخدم ليبنتز الكلمة المرادفة لعبارتي المنطق الرياضي و حساب البرهنة .

- وفي القرن التاسع عشر سمي المنطق الرمزي أيضاً " جبر المنطق " ، و ترجع هذه التسمية إلى جورج بول G.Boole الذي جعلها اسماً لنظريته في جبر الأصناف ثم استخدمها بيرس و شرويدر للدلالة على نظريات المنطق الرمزي كلها ، حيث صيغت جميعها على نموذج جبر الأصناف

- و يسمى المنطق الرمزي كذلك " المنطق الرياضي" و بيانو Piano هو أول من استخدم هذا التعبير ، و كان يعني به نوعين من البحث ، كان يعني أولاً صياغة المنطق الجديد تستخدم الرموز و الأفكار الرياضية ، و يعني به ثانياً البحث في رد الرياضيات إلى المنطق .

- و للمنطق الرمزي عدة تعريفات أفضلها ما اشتمل على بيان موضوعه : و موضوع هذا المنطق هو الاستدلال . الاستدلال هو الانتقال من قضية أو أكثر و نسميها مقدمة أو مقدمات إلى قضية أخرى و نسميها نتيجة و ترتبط المقدمات برباط معين بحيث إذا قبلنا المقدمات قبلنا النتيجة

-و الاستدلال ضربان : استنباطي Deduction و استقرائ Induction ، و يعنينا الأول وهو الذي ترتبط فيه المقدمات بالنتيجة بعلاقات منطقية أهمها علاقة التضمن Implcation .

-و جدير بالذكر هنا أن نشير إلى بعض التعريفات التي قدمت في هذا الجانب من المنطق وهو المنطق الاستنباطي ، نورد منها على سبيل المثال لا الحصر :

-**بيرس** : تكمن الإشكالية الأساسية في علم المنطق في تصنيف البراهين إلى براهين سليمة و براهين فاسدة .
-**كوبي** : دراسة المنطق هي دراسة المناهج و المبادئ التي تستعمل للتمييز بين البراهين السليمة و البراهين الفاسدة.
-**سامون** : المنطق هو العلم الذي يمدنا بأدوات تحليل البرهان .
-**بيانو**: المنطق هو العلم الذي يدرس خصائص الإجراءات و العلاقات.
-**رسل** : المنطق الرمزي مختص بالاستدلال بوجه عام ، ولذا فإن ما يبحث فيه هو القواعد العامة التي يجري عليه الاستدلال

خصائص المنطق الرمزي :

للمنطق الرمزي خاصيتان أساسيتان ، أنه يستخدم الرموز ، و أنه نسق استنباطي :

أولاً- الرموز : و الرموز التي يستخدمها المنطق الرمزي نوعان :

متغيرات Variables و ثوابت Constants

وهما مستعاران من الرياضيات ومن علم الجبر بنوع خاص.
المتغيرات حروف لغوية لا ترمز في ذاتها إلى نشئ محدد ، ولكن يمكننا إعطاؤها قيمة محددة ، و حينئذ نسمي هذه القيمة (قيمة المتغيرات) .
نقول الحرف (س) في التعبير (س ٢) إنه متغير ، و يمكننا إعطاؤه قيمة عددية محددة إذا ورد في تعبير مثل (س٢=٤)
و تصاغ قوانين الجبر جميعاً في صورة متغيرات و ثوابت

خذ القانون (أ + ب)٢ = أ٢ + أب + ب٢ .
نقول عن الحروف أ ، ب إنها متغيرات ، وعن علامات الإضافة و المساواة و الأس و الضرب و القسمة .. إلخ أنها ثوابت

وقد جرت العادة أن تقسم موضوعات المنطق الرمزي أو الرياضي إلى ما يلي :

أ -منطق أو نظرية القضايا Theory Of Propositions
ب -منطق أو نظرية دالات القضايا Theory Of Propositional Functions
ت -منطق أو نظرية الفئات أو المجموعات Theory Of Sets Or Classes
ث -منطق أو نظرية العلاقات Theory Of Relations

ثانياً- الخاصية الثانية للمنطق الرمزي هي أنه نسق استنباطي : إن كل ما لدينا من معرفة يمكن صياغته على صورة قضايا ، وهذه القضايا تتألف من حدود ، وفي كل علم تستنبط بعض القضايا أو يبرهن عليها استناداً إلى قضايا أخر.

إن القضايا التي تشتمل على معرفة تتعلق بموضوع معين ، تصير علماً لهذا الموضوع حينما تنتظم هذه القضايا بحيث يأتي بعضها كنتائج مستنبطة من بعضها الآخر .

رأى أصحاب المنطق الرمزي أن يتألف المنطق لكي يكون نسقاً استنباطياً – من العناصر التالية :

١. أفكار أولية لا معرفة Primitive Notions.
٢. قائمة التعريفات : تعريف الألفاظ التي تستخدمها في بناء نظرية منطقية معينة و نستعين باللا معرفات في تلك التعريفات
٣. مجموعة القضايا الأولية Primitive Propositions التي نبدأ بها بلا برهان.

يمكننا من تلك العناصر السابقة إقامة قضايا جديدة بطريقة الاستنباط الصوري المحكم مع الاستعانة ببعض قواعد الاستدلال

وفيما يلي الخطوات التي ينبغي إتباعها لإقامة نسق منطقي رمزي :

١. إعداد قائمة بالرموز الأولية المستخدمة في النسق .
٢. تحديد نوع التوالي أو العلاقة بين هذه الرموز الأولية أو طريقة تتابعها و ترابطها على نحو يؤدي إلى تكوين صيغ النسق بطريقة صحيحة .
٣. تحديد الصيغ التي يمكن اعتبارها بديهيات ، من بين تلك الصيغ التي تم تكوينها بطريقة صحيحة .
٤. تحديد قواعد الاستدلال التي يمكن بواسطتها أن نستدل على صيغ قد تم تكوينها بطريقة صحيحة من مجموعة الصيغ التي قد اعتبرناها مقدمات .

أهمية المنطق الرمزي :

أن البرهان الفلسفي حسب رأي أنصار المنطق الرمزي ، غالباً ما يتعرض إلى غموض و التباسات في معنى الأحكام من ناحية ، و عدم وضوح العبارات من ناحية أخرى .

وهذا ما يحاول تفاديه المنطق الرمزي بتقديم الطرق الملائمة للبرهان الفلسفي ، ليس هذا فحسب بل أن المنطق الرمزي يؤدي أيضاً كل الأعمال و الأغراض التي يقوم بها المنطق التقليدي ، فضلاً عن أنه يؤدي مهاماً كثيرة في حقل المعرفة العلمية التي لم يقدر المنطق التقليدي أن يعطيها تمام حقها .

و هكذا فالمنطق الرمزي فيه من الفوائد الجمة و المهمة وفي نواحي كثيرة ، حيث أن استخدام الرموز تفيد في التمييز الدقيق بين المعاني المختلفة ، و بذلك نتلافى الغموض الموجود في اللغة بعد أن نجعل لكل رمز خاصية يمتاز بها شيئاً معيناً دون الآخر ، بمعنى ثان أن استخدام الرموز في المنطق يوفر الإيجاز الدقيق في التعبير بالنسبة إلى الأحكام المعقدة التي يصعب فهمها إذا وضعت في تعبير لغوي عادي .

-و إذا كان هذا في الجانب اللغوي . فأن استعمال الرموز يفيد أيضاً في الجانب الرئيسي للشيء.

-حيث يمكن أن نستخدم الحروف (ب، ت، ث) بدلاً من الحدود "سقراط" و "فان" و "إنسان" في القياس ، وبذلك تبين لنا الرموز أن النتائج البرهانية إنما تتوقف على النسب المجردة التي ترتبط بينها و بين غيرها و ليست تتوقف على معاني هذه الحدود الخاصة فقط . علاوة على أن الرموز تفيد في تشخيص صورة القضايا بالدقة الواضحة.

-ولقد ميزه مناطقته بدقة التفاصيل في المباحث الرياضية و الهندسية ، أنه منطق علمي جديد في العلوم العقلية يقوم على فكرة نسق البديهيات ، حيث اكتشف المنهج الخاص بالبديهيات ، فازدادت أهميته في العلم التطبيقي (التكنولوجيا).

مناهج المعرفة : المنهج الجدلي و الإشراقي

المنهج الجدلي :

مفهوم المنهج الجدلي :

الجدل لغة : ورد الجدل في اللغة بمعنيين : **المعنى الأول :** النقاش أو الخصام (جدل الرجل جدلاً : خاصمه أشد الخصومة و الجدل الخصام و الجدل الخصام مع الناس ، تجادل القوم تصارعوا و تعادوا ، و جادل ناقش بالحجج و الأدلة " ها أنتم جادلتم عنهم في الحياة الدنيا " ، " وجادلوا بالباطل " ، " وجادلهم بالتي هي أحسن ").

المعنى الثاني : الفتل و الضم (واصل المعنى في هذه المادة الفتل ، وضم شئ إلي اخر ، و المجدول المفتول و درع مجدول أي محكم النسيج و جدل الحبل جدلاً فتله فتلاً محكماً و جدل شعره فتله).

الجدل اصطلاحاً :و أما من الناحية الاصطلاحية فقد تغير هذا المعنى عبر الزمان في البداية وفي وقت الإغريق كان الجدل يعني فن إدارة الحوار و المناقشة و الاستدلال على الحقيقة من خلال التناقضات الموجودة في حديث الخصم و الجدل أيضا طريقة للأسئلة و الأجوبة و استدلال الحقائق من خلال هذه الأسئلة و الأجوبة.

ومن معانيه الاصطلاحية (أن يتقابل نقيضان أي أن يجتمعا في محتوى واحد ، وهذا التناقض يؤدي إلي صراعهما حتى يخرج منهما أي من باطن الشئ الذي اجتمعا فيه شئ مختلف عنهما ، و بالتالي يعتبر بالنسبة إليهما خطوة إلي الأمام أو أكثر تقدماً).

وعلى هذا الوجه قال هيجل و ماركس بقانون الجدل . فالمعنى الأول للجدل (الخصام) يقارب الجزء الأول من المعنى الإصطلاحي له (تقابل النقيضين و صراعهما) كما أن المعنى الثاني (الضم) يقارب الجزء الثاني من المعنى الإصطلاحي له (أن يخرج من الشئ الذي اجتمع فيه النقيضان شئ ثالث مختلف عنها وفي ذات الوقت يتجاوزهما كنقيضين و يؤلف بينهما).

كما يمكن تعريف المنهج الجدلي بأنه عبارة عن طريقة في التفكير وفي البحث العلمي تدرس العلاقات المتبادلة في التأثير ما بين الظواهر المختلفة ، و بالتالي فالمنهج الجدلي يتتبع مراحل تغير الظاهرة بناء على الصراع الداخلي الذي يحدث للظاهرة وهو عكس المنهج التجريبي الذي يدرس الظاهرة من الخارج عن طريق الملاحظة و التجربة. وفي ضل غياب تعريف دقيق و محدد للمنهج الجدلي ، يضل هذا التعريف إجرائيا فقط لتميزه عن باقي المناهج .

التكوين التاريخي لهذا المنهج :

يعتبر المنهج الجدلي منهجا قديما في فلسفته و أسسه و فرضياته ، حديثا في اكتمال و إتمام صياغته و بنائه كمنهج علمي للبحث و الدراسة و التحليل و التفسير و التركيب و التأليف بطريقة علمية.

فلقد ظهرت نظرية الجدل قديما عند الإغريق على يد الفيلسوف اليوناني هيرقليطس قبل الميلاد ، و الذي صاغ أساس نظرية الجدل (الدياليكتيك).

ولقد تطور الدياليكتيك تطورا كبيرا وجديدا على يد الفيلسوف الألماني هيجل الذي بلور وجسد تلك النظرية و بناها و صاغها كمنهج علمي لدراسة و تحليل الحقائق و الأشياء و الظواهر و العمليات و تفسيرها و تركيبها علميا و منطقيا بطريقة شاملة حيث أن هيجل هو الذي اكتشف القوانين و القواعد و المفاهيم العلمية للدياليكتيك و المتمثلة في قانون تحول التبادلات الكمية إلى تبادلات نوعية و قانون وحدة و صراع الأضداد و قانون نفي النفي .

و بلغ الجدل مع هيغل ذروته و أصبح منهجاً فلسفياً شاملاً ، « قدم معه العالم كله الطبيعي منه و التاريخي و العقلي أول مرة على أنه صيرورة ، أي في حالة حركة و تغير و تحول و تطور دائم ».

يتميز الدياليكتيك عند هيجل بأنه دياليكتيك مثالي ، وعلى هذا الأساس انتقد الفيلسوف الألماني فورباخ النزعة المثالية عند هيجل و نادى بضرورة اتسام و اتصاف الدياليكتيك بالنزعة المادية حتى يصبح موضوعيا و واقعيا و علميا.

بعدها قام كارل ماركس ، وهو من أنصار الدياليكتيك الهيجلي بإعادة صياغة نظرية الدياليكتيك الهيجلي بإعادة صياغة نظرية الدياليكتيك صياغة مادية علمية عملية ، فأبقى عليها بكل نظرياتها و أسسها و فرضياتها ولكن نزع منها الطبيعة المثالي ، ولهذا هناك جدل مثالي و هناك جدل مادي :

أ / المنهج المثالي الجدلي (الهيجلى) : يرى هيجل أن الفكر المطلق هو الوجود الأول ، أما الأشياء والظواهر المادية فهي مجرد تجسيد له ، هذه الأولوية للفكر على المادة هي المثالية

ب / المنهج المادي الجدلي (الماركسى): كان ماركس تلميذ هيجل ، غير أنه أنكر وجود الفكر المطلق ، وكان يؤمن بأن المادة هي الوجود الأول ، أما الأفكار فهي تجسيد لها فجعل المادة تتطور و الافكار تتبعها إلي حيث هي متطورة.

المنهج الجدلي قوانينه و مبادئه :

يقصد بهذه القوانين مجموعة من القواعد و المفاهيم العلمية المترابطة في بناء هيكل الدياليكتيك كمنهج بحث علمي ، ومن أهم هذه القوانين : قانون تحول التبدلات الكمية إلى تبدلات نوعية ثم قانون وحدة وصراع الأضداد و أخيرا قانون نفي النفي .

١. قانون تحول التبدلات الكمية إلى تبدلات نوعية :

ويقوم هذا القانون ببيان كيفية تعرض الأشياء و الظواهر للتحولات و التبدلات الكمية بصورة تدريجية و منسجمة إلى أن تبلغ معيارا واحدا معينا ، لتحدث نتيجة ذلك تبدلات و تحولات نوعية في طبيعة الأشياء و الظواهر من صورة و شكل قديم إلى طبيعة جديدة متضمنة في ذات الوقت عناصر من الشيء أو الظاهرة أو العملية القديمة المتغيرة .

٢. قانون وحدة و صراع الأضداد و المتناقضات :

و مضمونه أن كل الأشياء و الظواهر و العمليات هي دائما في حالة حركة و تغير و تطور ، و أن سبب هذا التحول القوة الدافعة و المحركة لحالة التغير و الحركة في الأشياء و الظواهر ، ذلك أن كل شيء أو ظاهرة هي عبارة عن كتلة أو وحدة مترابطة من العناصر و الخصائص و الصفات المختلفة و المتناقضة و المتضادة و المتفاعلة بطريقة تنابذ و تجاذب

٣. قانون نفي النفي :

يقوم هذا القانون بعكس و تفسير العلاقة بين مختلف مراحل التطور و التبدل و الارتقاء و النتيجة الناجمة عن ذلك. فيقوم هذا القانون ببيان و تفسير نتائج مراحل ديالكتيك تطور الأشياء و الظواهر و الأفكار، من أفكار و حقائق إلى حالة وجود أفكار و حقائق متعارضة متقابلة و متناقضة داخل الشيء الواحد أو العملية الواحدة ثم مت ينتج عن ذلك من الظواهر و الحقائق و العمليات و الأفكار السابقة الفانية.

خصائص المنهج الجدلي و مكانته ضمن الحقول المعرفية :

يعتبر المنهج الجدلي كباقي المناهج العلمية ، يحظى بأهمية ما من حين لآخر ، حسب الحقل المعرفي الذي وظفت فيه ، و بالتالي فإن لكل منهج خصائصه و مجاله العلمي الذي يخدمه ، حيث أن بعض المناهج لا يمكنها أن تخدم إلا مجالا واحدا دون الآخر ، في حين أن مناهج يمكن تطبيقها في أكثر من مجال معرفي واحد .
فالمنهج الجدلي و كما تمت الإشارة إليه يرتكز على ثلاثة عناصر: الطرح و الطرح المضاد ثم التركيب من خلالها يمكننا أن نستشف خصائص هذا المنهج .

و حسب تصنيفات المناهج و أنواعها ، يعتبر المنهج الجدلي من المناهج الفلسفية العامة و يؤكد ذلك أن جل دارسي هذا المنهج يربطونه بالدراسات الفلسفية حيث أن هناك من ينعته بأنه تيار فلسفي مضاد للتيار الميتافيزيقي ، و يقوم على قصور مختلف الأشياء و الأفكار و الكون و يلجأ إلى منطق خاص وهو المنطق الجدلي الذي يؤكد على مبدأ التطور الذاتي للأشياء .

المنهج الإشراقي:

مفهوم المنهج الإشراقي :

الإشراق في اللغة : الإضاءة ، يقال أشرقت الشمس طلعت و أضاءت و الإشراق في كلام الحكماء : ظهور الأنوار العقلية و لمعانها و فيضانها على الأنفس الكاملة عند التجرد عن المواد الجسمية ، و تختلف الحكمة الإشراقية عن الفلسفة الأرسطية بأنها على الذوق و الكشف و الحدس في حين أن الفلسفة الأرسطية مبنية على الاستدلال و العقل .

و يشير الجرجاني في التعريفات إلى أن الإشراقيين طائفة رئيسهم أفلاطون ، و يذكر أحد الإشراقيين تعريفا لفلسفته فيقول: إنها الحكمة المؤسسة على الإشراق الذي هو الكشف أو حكمة المشارقة الذين هم أهل فارس وهذا يرجع إلى تعريف الجرجاني لأن حكمتهم كشفية ذوقية فنسبت إلى الإشراق الذي هو ظهور الأنوار العقلية و لمعانها و فيضانها بالإشراق على النفوس عند تجردها ، وكان اعتماد الفارسيين في الحكمة على الذوق و الكشف ، وكذا قدماء اليونان عدا أرسطو ومن معه فإن اعتمادهم كان على البحث و البرهان لا غير.

ولا ينكر الإشراقيون قيمة المصادر الأخرى للمعرفة ، بل يعترفون ولو نظرياً بقيمة ما تقدمه من معرفة في مجالات و حدود معينة من المعرفة ، فيرون أن الحس مصدر للمعرفة له ميدانه و العقل مصدر آخر له ميدانه أيضاً و الوحي الذي جاء به الأنبياء مصدر ثالث.

و يترتب على ما تقدم :

- أن الإشراق يتضمن ظهور الموجود أي تأسيس وجوده ، وهذا الظهور هو عملية إدراكية للنفس المستعدة للكشف.
- هناك ترادف بين لفظ (إشراقي) و (مشرقي) ، فيمكن فهم الإشراق بالإضافة إلى المعنى الأصلي على أنه حكمة المشرقيين أي الشرقيين الذين يقعون جغرافياً في الشرق و يقصد بهذا الإشارة بلاد فارس.
- تقوم الفلسفة الإشراقية في مقابل المشائية. أي الذوقية و الكشفية و الاشراقية مقابل العقلية

بعض المفاهيم المرتبطة :

- الكشف : هو الاطلاع على ما وراء الحجاب من المعاني الغيبية و الأمور الحقيقية و جوداً أو شهوداً.
- الذوق : نور عرفاني يقذفه الحق بتجليه في قلوب أوليائه يفرقون به بين الحق و الباطل من غير أن ينقلوا ذلك من كتاب.
- البصيرة : مصدر المعرفة في الإنسان الصوفي وهي الملكة التي ترى حقائق الأشياء و بواطنها ، كما يرى البصر ظواهر الأشياء المادية ، وهي مورد الإلهام و موطن الإشراق و مصدر الكشف و الذوق .

وهذه الفلسفة و إن كانت لها جذور متأصلة في عمق التاريخ إلا أنها برزت وصار لها أعلامها في الحضارة الإسلامية ، حيث إنها وجدت أرضا خصبة في المذهب الصوفي و الذي استطاعت من خلاله أن تثبت نفسها فلسفة و منهجا رئيسا من مناهج الفكر في الحضارة الإسلامية.

و يعد شهاب الدين السهروردي المقتول سنة 586هـ أبو الفلسفة الإشراقية في الحضارة الإسلامية ، و نستطيع ردّ مجمل العناصر التي اعتمدها السهروردي في تشييد فلسفته إلى ثلاثة أصول رئيسية : الأصلان الإسلامي و اليوناني و الأصل الفارسي .

مناهج المعرفة : المنهج التجريبي

مفهوم التجربة و التجريبية : التجربة Expriment مصطلح ذو معنيين اثنين ، عام و خاص .

أولاً ـ المعنى العام أو الواسع :

التجربة بمعناها العام هي الخبرة الحسية Experience الناجمة عن عملية تفاعل الناس مع محيطهم الطبيعي و الاجتماعي ، وهي بهذا تعد الشرط الضروري لعملية المعرفة [ر] التي لا تكتمل إلا بالعقل كشرط كاف ، فعملية المعرفة ليست سوى وحدة الفعل العقلي و الحسي .

ثانياً ـ المعنى الخاص أو الضيق :

التجربة بالمعنى الخاص هي المنهج الذي يستخدم في عملية جمع البيانات الميدانية و ضبط العوامل الجانبية المؤثرة و إدخال العامل المستقل إلى المجموعة التجريبية و ملاحظة تأثيره في العامل التابع من خلال المقارنة مع المجموعة الضابطة بحيث تؤدي هذه العملية إلى التثبت من المعارف المفترضة و اكتشاف معارف جديدة .

أولاً ـ المعنى العام أو الواسع :

التجربة بمعناها العام هي الخبرة الحسية Experience الناجمة عن عملية تفاعل الناس مع محيطهم الطبيعي و الاجتماعي ، وهي بهذا تعد الشرط الضروري لعملية المعرفة التي لا تكتمل إلا بالعقل كشرط كاف ، فعملية المعرفة ليست سوى وحدة الفعل العقلي و الحسي .

و فهم التجربة على هذا النحو يخالف في جوهره اتجاهين اثنين في نظرية المعرفة هما :

١ـ الاتجاه العقلي : Rationalism و يؤكد أنصاره أثر العقل في عملية المعرفة و يفصلونه عن التجربة الحسية ، لاعتقادهم بأن الحواس كثيراً ما تخدع ، و بأن المعرفة الآتية عن طريقها تفتقد الضرورة و صدق التعميم .

٢ـ الاتجاه التجريبي : (Experimentalism-Empiricism) و يعتمد أنصاره على الخبرة الحسية ، أساساً لبناء نظرية المعرفة من جهة و البحث الاجتماعي من جهة أخرى . وقد برز في العصر الحديث ثلاثة أنواع للتجريبية :

أ ـ الاتجاه التجريبي و نظرية المعرفة :

ـ التجريبية المثالية : Idealism التي تحصر التجربة بالواقع الذاتي ؛ أي الأحاسيس و التصورات ، نافية أن يكون الواقع الموضوعي مصدراً للتجربة. و يعد الفيلسوف هيوم ، واحداً من أبرز ممثلي هذا الاتجاه في نظرية المعرفة إذ يؤمن بأن مصدر معارفنا كلها هو الخبرة الحسية و وسيلتها هي الحواس

ـ التجريبية المادية : Materialism و تعتمد التجربة بمعناها الواسع ، أي الخبرة الحسية الذاتية للفرد و انفعاله بالتأثيرات الحسية لأشياء العالم الموضوعي المحيطة بـه ، فتصير هذه التجربة أساس المعرفة و مصدرها الوحيد.

و يعد الفيلسوف لوك Luck ، أحد أبرز ممثلي التجريبية المادية ، وهو أول من أفرد مبحثاً متكاملاً من نظرية المعرفة ضمن هذا الإطار.

ـ التجريبية المنطقية : Positive Empiricism وقد حاول أتباعها التأكيد أن الفلسفة عدوة العلم و أن المعرفة العلمية تصدر عن الخبرة الحسية الذاتية ، فمعرفتي المباشرة بلون الطاولة و شكلها و صلابتها و نعومتها مرتبطة بوجودها أمامي ، و معرفتي بالزهرة مرهونة بمدى إحساسي أنا برائحتها ، وقد لمع في هذا الاتجاه الفيلسوف و المنطقي النمساوي كارناب Carnap

ب ـ الاتجاه التجريبي في البحث الاجتماعي :

يشكل مبدأ التحقق و مبدأ الإجرائية الذي يردّ المعرفة إلى جملة إجراءات (عمليات) يقوم بها الباحث في أثناء نشاطه العلمي ، الأساس المعرفي للاتجاه التجـريبي (الامبريقي) في البحث الاجتماعي .

و يستخدم الاتجاه التجريبي في علم الاجتماع وسائل عديدة لدراسة المجتمع مثل الملاحظة و المقابلة و الاستمارة و الوثائق الشخصية ، كالرسائل و السير الذاتية ، إضافة إلى المعامِلات الإحصائية المختلفـة لمعالجة البيانـات التي تجمع مـن الميدان .

ثانياً ـ المعنى الخاص أو الضيق :

التجربة بالمعنى الخـاص هي المنهج الذي يستخدم في عملية جمع البيانات الميدانية و ضبط العوامل الجانبية المؤثرة و إدخال العامل المستقل إلى المجموعة التجريبية و ملاحظة تأثيره في العامل التابع من خلال المقارنة مع المجموعة الضابطة بحيث تؤدي هذه العملية إلى التثبت من المعارف المفترضة و اكتشاف معارف جديدة .

١. التجريب في العصور القديمة :

جرّب القدماء من وقت لآخر ، صلاحية آلة ابتكروها أو فكـرة آمنوا بها أو سلوك أرادوا له أن يرى النور قبل تعميمه. ففي القرن السابع قبل الميلاد ، مثلاً ، حاول أحد الفلاسفة من الملوك الهنود استخدام التجريب لإثبات فكرة آمن بها ، وهي أن الروح التي تخرج من الجسد عند الموت لا تفنى . وفي سبيل ذلك وضع هـذا الفيلسوف لصاً في جرة فخار كبيرة و أطبق بابها بشكل محكم ، ولم يترك فيها سوى ثقب صغير كي يرى من خلاله الروح الخارجة من جسد اللص . و بعد أيام مات اللص ولم ير الملك الفيلسوف روحاً تخرج من الثقب ، فاضطر على إثر هذه التجربة لتغيير فكرته عن فناء الروح .

وفي اليونان نفذت تجارب متفرقة في مجالات مختلفة ؛ فعلى سبيل المثال ، جرب « لويكيب » Leukipp ، أحد أتباع مذهب الذرَّة اليونانيين ، أن يملأ بالماء أصيصاً مملوءاً أصلاً بالرماد ، فتبين له أن هذا الأصيص قد استوعب الكمية نفسها من الماء التي يستوعبها عادة وهو خال من الماء. و كانت تجربة الرماد هذه أساساً لبرهان لويكيب على أن الذرَّات أجزاء مادية غير قابلة للتجزيء وعلى وجود فراغات كبيرة بين الذرات.

٢- التجريب في العصر الإسلامي :

أجرى العرب تجارب أدت إلى سلسلة من الاكتشافات العلمية المهمة ، كالنظام العشري و بداية الجبر والأعداد و الكيمياء . فبلغت الحضارة العربية و الإسلامية ذروتها و نبغ علماء عرب كثر أمثال الحسن بن الهيثم الذي أبدع في البصريات و الرياضيات و الفيزياء ، و يعد الحسن بن الهيثم أحد الرواد الأوائل في البحث التجريبي القائم على الملاحظة الموضوعية و الاستقراء .

فهو أول من شرح رؤية العين (الإبصار) شرحاً علمياً صحيحاً ، كما أنه قدم نظريات رائدة في انعكاس الضوء في المرايا و تكوين الصور بوساطتها و انكسار الضوء ، و فسر أيضاً ظاهرة السراب وغيرها من الظواهر الضوئية ، حتى إنَّ كتابه « المناظر » الذي تُرجم إلى اللاتينية ، هو الكتاب الوحيد الذي تداوله الباحثون طوال العصور الوسطى الأوروبية .

٣- التجربة في العصر الحديث : استمرت التجربة في العصر الحديث ، و برز تأثيرها في كل من العلوم الطبيعية أولاً و الاجتماعية ثانياً :

أ ـ التجريب في العلوم الطبيعية : بدأ بعض علماء الطبيعية في القرن الخامس عشر بالتنظير للتجريب في العلم ، و استخدامه فعلياً في أبحاثهم يعد غاليليو العالم الإيطالي المشهور ، وقد أثبت تجـريبياً صحة فرضية الفلكي البولوني كوبرنيكوس حول دوران الأرض حول الشمس ، فكان بذلك أحد أهم الرواد الذين أسسوا نظرياً و عملياً ، للطريقة التجريبية في العلـوم الطبيعية و امتد التجريب في الوقت الراهن في ظل ثورة المعلومات و التقنيات ، ليشمل العلوم الأخرى أيضاً.

ب ـ التجريب في العلوم الاجتماعية : اعتمد ممثلو العلوم الاجتماعية في نهاية القرن ١٧م و بداية القرن ٢٠م التجريب في أبحاثهم الاجتماعية. فونت Wundt ، عالم النفس الألماني المشهور على سبيل المثال ، هو أول من استخدم التجربة المخبرية في البحث النفسي حين أسّس عام ١٨٧٨ في مدينة ليبزيغ Leipzig الألمانية المخبر النفسي الأول في العالم الذي يعنى بدراسة الآلية الداخلية أو العناصر الداخلية المنعزلة للسلوك الفردي ثم تفسير الظواهر و العمليات النفسية من جراء إحضار الأفراد إلى المخبر و التجريب عليهم .

بيد أن التجريب في علم الاجتماع أكثر تعقيداً مما هو عليه في علم النفس ، إذ يصعب عزل الأفراد الذين يشكلون الظاهرة الاجتماعية و جلبهم إلى المخبر للتجريب عليهم ، لأن ذلك يؤدي إلى دراسة السلوك بمعزل عن العلاقات الاجتماعية المتبادلة ، لهذا لا تصح التجربة المخبرية في دراسة موضوعات علم الاجتماع مع دراستها بأنواع أخرى من التجارب تتناسب و خصوصيتها كالتجربة الحقلية و التجربة البعدية ـ القبلية و شبه التجربة .

و يواجه التجريب في البحث الاجتماعي المعاصر صعوبات جمة تحد من استخدامه و يعود ذلك إلى أسباب كثيرة تأتي في طليعتها خصوصية الواقع الاجتماعي المتغير دائماً ، الأمر الذي يؤثر في أفراد التجربة الذين غالباً ما ينفعلون بالتغيرات الحاصلة في محيطهم ، فيصير من الصعب تقدير أثر العامل التجريبي في التأثير في العامل التابع.

إضافة إلى ذلك ، يتطلب البحث التجريبي في علم الاجتماع وقتاً و إنفاقاً مالياً كبيراً قد لا يتمكن الباحث بمفرده من تغطيته إذا لم تساعده الجهات الوطنية المعنية بنتائج هذا البحث.

خطوات البحث التجريبي :

تتلخص خطوات البحث التجريبي في النقاط التالية :

- الشعور بالمشكلة .
- مراجعة الدراسات السابقة للتحقق من عدم دراسة المشكلة سابقاً و للتعرف على نتائج الدراسات ذات العلاقة .
- تحديد و تعريف المشكلة التي سيتم دراستها .
- وضع الأسئلة و الفرضيات المناسبة .
- تعريف المصطلحات .
- تصميم منهجية البحث بتحديد أفراد العينات و المجموعات المستقلة و الضابطة و المقاييس و المصادر و الاختبارات المطلوبة .
- جمع البيانات و إجراء التجارب المطلوبة .
- تحليل و تفسير البيانات و عرض النتائج وتقرير قبول الفرضيات أو رفضها .
-عرض النتائج النهائية في صيغه تقرير لأغراض النشر .

إضافة إلى بعض الخطوات التي يتميز بها عن غيرة من المناهج وهي :

أ- تصميم و اختبار التجربة ب- إجراء التجربة و تنفيذها

أشهر أعلام نظرية المعرفة
(ابن سينا و ابن عربي)

الموقف الفلسفي لابن سينا :

الملاحظة الأساسية التي تكاد تكون محل اتفاق بين دارسي ابن سينا هي ازدواجية الموقف الفلسفي عنده أو تعدد المستوى الفلسفي السينوى ؛ فهناك على ما يصرح به ابن سينا نفسه فلسفة مشائية للجمهور و فلسفة مشرقية للخاصة.

و الاتجاه المشائى هو الشائع عن ابن سينا خاصة عند المتأثرين به فى الغرب ، و الممثل له من مؤلفاته هو (الشفاء) بصفة عامة ، أما الاتجاه المشرقى فالمقصود به عند ابن سينا ما زال محل خلاف بين الباحثين .

و نظرية المعرفة كما هو معروف مبنية على الموقف الفلسفي ومع ازدواجية الموقف الفلسفي السينوى بين المشائية التى يخاطب بها الجمهور و المشرقية التى يخاطب بها الخاصة فسنجد بالضرورة و بناء على ذلك موقفين معرفيين مزدوجين أحدهما مبنى على المشائية و الآخر مبنى على المشرقية.

و إذا كان منهج التصنيف فى العلم و منهج تصنيف العلوم على صلة وثيقة بنظرية المعرفة ، فإننا نلحظ هذه الازدواجية فى موقف ابن سينا الفلسفى و التى ينبنى عليها ازدواجية فى آثارها فى تصنيف العلوم وفى منهج التصنيف الفلسفى نظريته في المعرفة

-لابن سينا نظرية متكاملة فى الوجود و المعرفة بأنواعها الحسية و العقلية ، غير أنه انتهى به الأمر إلى إدراك محدودية هذه الوسائل لمعرفة الوجود ، و أنها لا يمكنها الاستقلال في إدراك الوجود و معرفته .

-يقول ابن سينا : ((... فبقى أن هاهنا شيئا خارجا عن جوهرنا فيه الصور المعقولة بالذات ، إذ هو جوهر عقلي بالفعل إذا وقع بين نفوسنا و بينه اتصال ما ، ارتسم منه فيها الصور العقلية الخاصة بذلك الاستعداد الخاص لأحكام خاصة و إذا أعرضت النفس عنه إلى ما يلي العالم الجسدانى أو إلى أي صورة أخرى انمحى المتمثل الذي كان أولا كأن المرآة التي كانت تحاذى بها جانب القدس قد أعرض بها عنه إلى جانب الحس أو إلى شيء آخر من الأمور القدسية ، وهذا إنما يكون إذا اكتسبت نفوسنا هذا الاتصال))

- فنظرية المعرفة عند ابن سينا مرتبطة بقوى النفس عنده و التى يرى أنها الحواس و العقل و الحدس ومن ثم فالمعرفة تنقسم عنده إلى المعرفة الحسية و العقلية و الحدسية

- و المعرفة الحدسية مكتسبة بسلوك طريق خاص هو طريق المجاهدة و التصفية و الذي ينتهي بالاتصال ثم التلقي كل حسب استعداده فالمعرفة الإشراقية مرتبطة بالاستعداد.

- وهناك مراتب ثلاثة مستعدة لهذه المعرفة بحسب نظرية ابن سينا : الزاهد و العابد و العارف ، وقد تناول كل ذلك بالتفصيل في الأنماط الثلاثة الأخيرة من إشاراته : الثامن و التاسع و العاشر من كتاب (الاشارات و التنبيهات).
إذن فالإضافة الحقيقية عند ابن سينا فى نظرية المعرفة هو محاولة التنظير العقلي للمعرفة الحدسية.

<u>تصنيف العلوم عند ابن سينا :</u>

- ينطلق تصنيف ابن سينا للعلوم من مفهومه للوجود ، فالوجود عنده إما عقلي مفارق ، وهو موضوع ما بعد الطبيعة ، و إما مادي محسوس وهو موضوع الطبيعة ، و إما ذهني متصور وهو موضوع المنطق .

- و موضوع الطبيعة لا يوجد ولا يمكن أن يتصور وجوده بريئا عن المادة ، و أما موضوع ما بعد الطبيعة فلا تخالطه المادة أصلا و موضوع المنطق منتزع من المادة بطريق التجريد

- هذا الأساس في التصنيف سيؤثر مباشرة في منهج التصنيف عنده حيث ستكون بدايته في مصنفاته - بعد المدخل المنطقى - هو العلم الطبيعى مع ملاحظة أن المدخل المنطقى هو عنده فى جميع كتبه (كالشفاء و النجاة و الإشارات) يبدأ به لكونه آلة تعصم الذهن عن الخطأ.

- و بناء على أساس التصنيف هذا يقسم ابن سينا في رسالة (أقسام العلوم العقلية) الحكمة إلى قسم نظرى مجرد و قسم عملى و القسم النظرى هو الذى الغاية فيه حصول الاعتقاد اليقينى بحال الموجودات التى لا يتعلق وجودها بفعل الإنسان ، و يكون المقصود إنما هو حصول رأى فقط مثل علم التوحيد و علم الهيئة .

- و القسم العملي هو الذي ليس الغاية فيه حصول الاعتقاد اليقيني بالموجودات ، بل ربما يكون المقصود فيه حصول صحة رأى في أمر يحصل بكسب الإنسان ليكتسب ما هو الخير منه ، فلا يكون المقصود حصول رأى فقط بل حصول رأى لأجل عمل فغاية النظري هو الحق و غاية العملي هو الخير

- أما أقسام الحكمة النظرية ثلاثة : العلم الأسفل و يسمى العلم الطبيعي و العلم الأوسط و يسمى العلم الرياضي و العلم الأعلى و يسمى العلم الإلهي .

- فالعلوم النظرية أقسام ثلاثة : العلم الخاص بالقسم الأول يسمى طبيعيا و العلم الخاص بالقسم الثاني يسمى رياضيا و العلم الخاص بالقسم الثالث يسمى إلهيا .

- أما أقسام الحكمة العملية عند ابن سينا فثلاثة ، القسم الأول ، و يعرف به أن الإنسان كيف ينبغي أن تكون أخلاقه و أفعاله حتى تكون حياته الأولى و الأخرى سعيدة .

- و القسم الثاني و يعرف منه أن الإنسان كيف ينبغي أن يكون تدبيره لمنـزله المشترك بينه و بين زوجه و ولده و مملوكه حتى تكون حاله منتظمة مؤدية إلى التمكن من كسب السعادة .

- و القسم الثالث ، ويعرف به أصناف السياسات و الرياسات و الاجتماعات المدنية الفاضلة و الرديئة و يعرف وجه استيفاء كل واحد منها وعلة زواله وجهة انتقاله ، ما كان يتعلق من ذلك بالملك. وما كان من ذلك يتعلق بالنبوة و الشريعة . وهذا الجزء من الحكمة العملية يعرف به وجود النبوة و حاجة نوع الإنسان فى وجوده و بقائه و منقلبه إلى الشريعة.

- ثم أخذ ابن سينا بعد ذلك في بيان أقسام علوم الحكمة الطبيعية و الرياضية و الإلهية و المنطقية في بقية رسالته مؤكدا فى النهاية على أن جملة العلوم المعقولة المضبوطة فى هذه الرسالة العظيمة ثلاثة و خمسون علما .

فروع الحكمة :

و يعلق الشيخ مصطفى عبد الرازق بقوله : ولم يبلغ أحد علمناه قبل ابن سينا بالعلوم العقلية أو العلوم الفلسفية هذا العدد ، وقد جعل المنطق آلة للعلوم العقلية أو الفلسفة بقسميها النظري و العملي ثم أسماه مع ذلك حكمة ، وذكر في فروع العلم الإلهي : علم الوحي و علم المعاد .

و يقول ابن سينا في عيون الحكمة : ((الحكمة استكمال النفس الإنسانية بتصور الأمور و التصديق بها بالحقائق النظرية و العملية على قدر الطاقة الإنسانيو الحكمة المتعلقة بالأمور التي إلينا أن نعلمها وليس إلينا أن نعملها تسمى حكمة نظرية و الحكمة المتعلقة بالأمور العملية التي إلينا أن نعلمها و نعملها تسمى حكمة عملية . وكل واحدة من الحكمتين تنحصر في أقسام ثلاثة . فأقسام الحكمة العملية : حكمة مدنية و حكمة منـزلية و حكمة خلقية . و مبدأ هذه الثلاثة مستفاد من جهة الشريعة الإلهية و كمالات حدودها تستبين بالشريعة الإلهية و تتصرف فيها بعد ذلك القوة النظرية من البشر بمعرفة القوانين العملية منهم و باستعمال تلك القوانين في الجزئيات.

- فالحكمة المدنية فائدتها أن تعلم كيفية المشاركة التى تقع فيها بين أشخاص الناس ليتعاونوا على مصالح الأبدان و مصالح بقاء نوع الإنسان .

- و الحكمة المنـزلية فائدتها : أن تعلم المشاركة التي ينبغي أن تكون بين أهل منـزل واحد لتنتظم به المصلحة المنـزلية و المشاركة المنـزلية تتم بين زوج و زوجة و والد و مولود و مالك و عبد .

- و أما الحكمة الخلقية ففائدتها أن تعلم الفضائل و كيفية اقتنائها لتزكو بها النفس و تعلم الرذائل و كيفية توقيها ، لتطهر عنها النفس .

-و أما الحكمة النظرية فأقسامها ثلاثة : حكمة طبيعية و حكمة رياضية و حكمة هي الفلسفة الأولية و الفلسفة الإلهية جزء منها ، وهى معرفة الربوبية .

-ومبادئ هذه الأقسام التي (للحكمة النظرية مستفادة من أرباب الملة الإلهية على سبيل التنبيه و متصرف على تحصيلها بالكمال و القوة العقلية على سبيل الحجة ومن أوتى استكمال نفسه بهاتين الحكمتين و العمل على ذلك بإحداهما فقد أوتى خيرا كثيرا).

ابن عربي :

فلسفة ابن عربي :

- ابن عربي فيلسوف كبقية الفلاسفة الإسلاميين ، تكلم في الكون وفي مبدئه وفي صدروه و تكلم في الإنسان وفي غايته من هذه الحياة وفي علاقته بموجده وفي السبيل إلى تحديد هذه العلاقة ، ولم يخرج في جوهر ما قال عن الأفلاطونية الحديثة و الأفلاطونية الحديثة مصدر الفلسفة الإشرافية في الثقافة الإسلامية و مصدر كبير للتصوف الإسلامي القائم على الإلهام في المعرفة و الفناء في ذات الله و نبذ متع هذه الحياة . ولكن ميزة ابن عربي عن الفلاسفة الإسلاميين الآخرين ، أمثال : الكندي و الفارابي و ابن سينا أو غيرهم ، في تصوير هذه الفكرة الفلسفية ، فلم يشأ أن يحكيها أو أن يشرحها بعباراتها الاصطلاحية ، بل عرضها بأسلوب يكثر فيه التمثيل الشعري الرمزي .

- و شخصية ابن عربي واضحة و غامضة ؟ واضحة في تمثيلها ثقافة عصره، و غامضة في أنها لم تبرز صريح رأيه و معتقده و أغلب الظن أن هذا الغموض مرجعه شغف ابن عربي باستخدام (القصة) في الفلسفة و الخيال في التعبير عن الفكر ، و إن كان هو يعلله بقوله : (ليس في مستطاع أهل المعرفة أيصال شعورهم إلى غيرهم و غاية ما في هذا المستطاع الرمز عن تلك الظواهر لألئك الذين أخذوا في ممارستها).

المعرفة عند ابن عربي :

يتنازع المعرفة اتجاهان أو نهجان : الأول هو النظر العقلي و الثاني هو الكشف الصوفي ، وعليه فإن مفهوم المعرفة يجب أن ينظر إليه ليس بوصف ابن عربي متصوفاً يسلك طرق الكشف و حسب بل بوصفه فيلسوفاً يلجأ إلى النظر العقلي كذلك و نظرية المعرفة عند ابن عربي تميز بين نوعين من المعرفة : تلك التي تنتمي للعقل و الأخرى العائدة للنفس ، أي المعرفة الذوقية و التأكيد على حدسها ، المحدد الأساس في المعرفة عند ابن عربي بفهم الإيمان بمعرفة تبتعد عن السبب الاستطرادي و تقترب من الإدراك المباشَر للحقيقة في جوهرها.

إن ارتباط المصطلح بلفظ « ذوق » يشير إلى نوع من الحكمة تعتمد التجربة المباشرة ذات الإدراك الفطري . وهو ما يتحدد بما يسمى الكشف الذوقي ، فالعقل مكتسَب في حين أن الذوق موضوعه الحقيقة ذاتها و بالتالي لا مفر من اللجوء إلى الذوق باعتباره الوسيلة الوحيدة للحصول على المعرفة عبر: الشهود المباشَر للحقائق .

-و على هذا النحو نرى ابن عربي وقد تعامل مع القلب كأداة تبث من خلالها « المعرفة الذوقية »، وهي بمعنى آخر البؤرة التي تتجلى فيها المعرفة و المواقف التي صاغها الصوفية عن القلب بمجملها متأثرة بالأحاديث المروية عن النبي صلى الله عليه وسلم و التي تتوزع على مستويين محددين : الأول اعتبار القلب بؤرة للمعرفة و الثاني : التأكد على تغيرية و حركية القلب . ومن خلال الموقف القرآني الذي اتخذ من القلب محلاً للكشف و الإلهام ، فإن الصوفية الأوائل قد حددوا القلب : بالمشاهدة و الفهم عن الله .

-و إن الصراع المتمثل بين ما هو إيجابي وما هو سلبي طبقاً لهذا التقسيم راجع إلى وقوع النفس بين الروح و العقل من جهة وبين الجسم المادي من جهة أخرى ، وبهذا الفهم فإن اهتمام النفس بما هو ظاهري يؤدي إلى تكدس الحجب على القلب أو زيادة صدئه .

- لذا فإن الظاهر يتضمن الأسباب و الأغيار و الأشياء و يتركز رحيل العارف من الأسباب إلى المسبب ومن السوى إليه هو ومن الأشياء إلى رب الأشياء.

- ارتبط الظاهر عند ابن عربي بمعرفة العالَم و اختص الباطن بمعرفة الله و يمثل الباطن بالنسبة للظاهر، ما يمثله القلب بالنسبة للجسد.

-ومن الجدير ذكره - حسب ابن عربي - أن قلب المؤمن وحده، هو مجال المعرفة ؛ لأنه يتضمن مجموعة من الأنوار : نور المعرفة و نور العقل و نور العلم إلا أن نور المعرفة هو هدف العارف ؛ لأن نور المعرفة كالشمس و نور العقل كالقمر و القسم الثالث هو نور العلم ، وهو كالكوكب بالنسبة للشمس و القمر ، فيتم ستر الهوى بنور المعرفة و ستر الشهوة بنور العقل و ستر الجهل بنور العلم .

مراتب العلوم عند ابن عربي :

يميز ابن عربي بين ثلاث مراتب للعلوم « علم العقل »: « وهو ما يحصل لك ضرورة أو عقيب نظر في دليل... ولهذا يقولون في النظر: منه صحيح و فاسد »

أما العلم الثاني فهو « علم الأحوال »: « ولا سبيل إليها إلا بالذوق فلا يقدر عاقل على أن يحدها ولا يقيم على معرفتها دليلا البتة . كالعلم بحلاوة العسل و مرارة الصبر ، وما شَاكَلَ هذا النوع من العلوم . فهذه علوم من المحال أن يعلمها أحد إلا بأن يتصف بها و يذوقها و شَبَهُهَا من جنسها في أهل الذوق » الأمر إذن يتعلق بالذوق السليم لا بالخطأ و الصواب ، « ولا يجوز إنكار الذوق على من ذاق »
أما العلم الثالث فهو « علم الأسرار »: « وهو العلم الذي فوق طور العقل ، وهو نفث روح القدس في الروع ، يختص به النبي و الولي » - حسب ابن عربي - هذا الصنف الثالث الذي هو علم الأسرار ، العالم به يعلم العلوم كلها و يستغرقها. وليس صاحب تلك العلوم (الأخرى) كذلك فلا علم أشرف من هذا العلم المحيط الحاوي على جميع المعلومات »

- وقد أكد ابن عربي على أهمية دور العقل في تحصيل المعرفة ، و تراه لا يرفض معرفة الفيلسوف العقلية و يعطي للحواس و الخيال دورين كبيرين في تحصيل المعرفة.

- ومع ذلك تبقى قدرة العقل محدودة و عاجزة عن معرفة الله ، لأن هنالك طوراً آخر هو طور ما وراء العقل الذي يمثل السبيل إلى معرفة الله و مصدر هذه المعرفة هو القلب و طريقها الكشف و المشاهدة و التجلي و بالتالي فإنه حتى الصوفي العارف الواصل الكامل يبقى عاجزاً عن إدراك كنه الذات الإلهية و غاية العارف هي إدراك تجليات الله بأسمائه و صفاته في جواهر الوجود .

- و ابن عربي يعتبر النظر العقلي ضرورياً للحياة ، لكن المعرفة المحصلة بالعقل هي معرفة محدودة . ذلك أن للعقل حدوداً لا يستطيع تجاوزها ، تخص معرفة الذات الإلهية . وعليه فإن للمعرفة حدوداً لا يتجاوزها العقل ومع ذلك فإن آفاق المعرفة تبقى مفتوحة إلى ما لا نهاية و يجب على الإنسان أن يحاول ارتيادها لكن الأهمية القصوى في تحصيل المعرفة هي للكشف الصوفي .

صعوبة تحديد معاني كلام ابن عربي :
على أن ابن عربي يتعمد دائما إخفاء حقيقة مذهبه ، و نص على ذلك بوضوح فى مقدمة الفتوحات . وهذه أول صعوبة يقابلها من يحاول خوض غمار فكر ابن عربي ، و الذي يتفنن في الغموض باستخدام كل وسيلة ممكنة من اللغة الرمزية إلى تبديد آرائه و تفريقها إلى استخدام لغة اصطلاحية خاصة إلى غير ذلك من وسائل .
ولهذا من الصعب تحديد مذهبه في المعرفة بشكل دقيق و قاطع .

أشهر أعلام نظرية المعرفة
(الغزالي و ابن رشد)

مفهوم العلم و أقسام العلوم :

رحلة الغزالي للبحث عن الحقيقة :

- نظرية المعرفة عند الغزالي مرتبطة أشد الارتباط برحلته في البحث عن الحقيقة ، وقد قدم حديثا صريحا في نظرية المعرفة في العديد من مؤلفاته كالمنقذ من الضلال ، و ميزان العلم ، كما خصها ببعض المؤلفات المستقلة كالقسطاس المستقيم و الذي تناول فيه ميزان المعرفة و الرد على نظرية المعرفة عند الباطنية ، وقد حاول الغزالي في قسطاسه استخراج ميزان المعرفة من القرآن الكريم حيث استطاع أن يستخرج منه خمسة موازين : ميزان التعادل (الأكبر و الأوسط و الأصغر) و ميزان التلازم و ميزان التعاند .

- ثم أخذ فى شرح هذه الموازين بالتفصيل ، فقد حاول فيه الغزالي استخراج أشكال القياس العقلي من القرآن الكريم مباشرة ، كما حاول أن يستخرج أيضا أمثلة لهذه الأقيسة من القرآن ، وكان قادرا على ذلك بمهارة ، ليبين أن استخدام هذه الأنيسة الصورية أمر مشروع و مندوب إليه فى طلب المعرفة الحقة ، ثم أخذ ينقض نظرية المعرفة عند الباطنية القائمة على القول بالإمام المعصوم .

- وقد كان الغزالي يحاول البحث عن الحقيقة بكل المدارك و المعارف الحسية و العقلية والقلبية ، وكي يصل إلى الحقيقة اليقينية كان لا بد من أن يستخدم منهج الشك أو الشك المنهجي .

- و إنما تقوم نظرية المعرفة عند الغزالي على نقد وسائل العلم و المعرفة التقليدية ، و تعدد مستويات الخطاب المعرفي عنده و الشك المنهجي ، كما نادى بضرورة التلازم بين العقل والشرع من أجل الوصول إلى اليقين على أن الغزالي لم يتزحزح قيد أنملة عن تأكيد أهمية المعرفة العقلية رغم ما قدمه من نقد وشك ، فالعلوم كلها و خاصة الدينية إنما تدرك بكمال العقل و صفائه ، ولهذا وثق بالمنطق و البراهين العقلية فى الكثير من المجالات بعد أن نقدها نقديا علميا دقيقا.

- و يعتبر الغزالي أحد الشخصيات الأساسية التي دافعت عن المنطق فى العالم الإسلامي وقدمت له أسباب بقائه و استمراره و خصص بعض كتبه للمنطق مثل (معيار العلم) و (محك النظر) ، كما تناول بعض قضايا المنطق فى مواضع أخرى كمقدمة المستصفى الشهيرة و كمقاصد الفلاسفة و تهافتهم .

أقسام المعرفة :

و بناء عليه فتنقسم المعرفة عنده إلى ثلاث شعب :

١- المعرفة الغيبية الميتافيزيقية و معرفتها بطريق التفصيل لا تتم إلا عن طريق الوحي .
٢- المعرفة المنطقية و الرياضية و طريقها العقل .
٣- المعرفة التجريبية و طريقها الحواس و غايتها الظن لا اليقين و يوضح الغزالى ذلك بقوله : ((وأبعد العلوم الثلاثة عن التشويش الرياضى وأما الطبيعى فالتشويش فيه أكثر لأن الطبيعيات بصدد التغيرات فهى بعيدة عن الثبات بخلاف الرياضيات)).

- يتناول الغزالي في كتاب (ميزان العمل) شرفَ العقل و العلم و التعليم ثم يقدم الكلام عن العلم في كتابه الأشهر (الإحياء) و يجعل له صدارة الكتاب و يقدمه على كتاب قواعد العقائد و أعطى أولوية كبرى للعلم وما يتعلق به من مباحث و مفاهيم و قدمها على الكل مطلقا .

أصناف العلم و أقسامه :

يصنِّف أبو حامد الغزالي العلم و يقسمه إلى قسمين : فيقول : (اعلم أنَّ العلم على قسمين : أحدهما شرعي ، و الآخر عقلي و أكثر العلوم الشرعية عقلية عند عالمها و أكثر العلوم العقلية شرعية عند عارفها).

و بعد تقسيمه العلم إلى شرعي و عقلي ؛ أخذ في تفصيل أقسامهما ، فبدأ بالشرعي و قسَّمه إلى قسمين : الأول : في الأصول ، وهو علم التوحيد. و الآخر: علم الفروع.

و العلم الشرعي إما أنْ يكون علميَّاً أو عملياً. علم الأصول هو العلمي ، علم الفروع هو العملي و العلم العملي يشتمل على ثلاثة حقوق :

الأول : حق الله تعالى " أركان العبادات " و الثاني : حق العباد " أبواب العادات " مثل: البيع و الشركة و القصاص. و الثالث : حق النفس " علم الأخلاق "

وبعد أنْ فرغ أبو حامد الغزالي من أقسام العلم الشرعي تناول بالتقسيم مراتب العلم العقلي ، حيث قسمه إلى ثلاث مراتب: المرتبة الأولى : العلم الرياضي . المرتبة الثانية : العلم الطبيعي. المرتبة الثالثة : النظر في الوجود وتقسيمه إلى الواجب و الممكن

- هذا الترتيب المتسق للعلم الشرعي و العقلي ينبئ عن عقلية فذة و بعد فكرى عميق و إحاطة واسعة بالعلوم و المعارف الفنية ، أسهمت في بروز منهجية أصبحت مورداً خصباً لمناهج البحث الحديث.

-و بعد حديثه عن العلم غاص في رحلة البحث عن اليقين ، مطبقا منهجه (الشك المنهجي) و انتقل من الحسيات إلى العقليات إلى الكشف وصولا على اليقين . فكان شكه منهجيا لا مذهبيا.

-وقد ترتب على هذا الشك المنهجي عند الغزالي وضوح الاتجاه النقدي عنده من حيث نقده لوسائل المعرفة ، و نقده للمذاهب و الطوائف و الأفكار و الفرق و سيؤثر الاتجاه النقدي عند الغزالي تأثيرا مباشرا على مناهج التصنيف عنده ، مما يجعله يضع كتبا بأسرها من خلال اتجاهه النقدي كأعماله في نقد الفلاسفة و الباطنية وغير ذلك .

وسائل المعرفة :

وبما أنه لا يمكن الفصل التام بين العلم و المعرفة عند أبى حامد الغزالي ؛ لأنَّ المعرفة لا تكتمل إلاَّ بالعلم ، فالعلم المبني على التوحيد الخالص لوجه الله تعالى و الذي يتبعه العمل تكون نتيجته المعرفة . لذلك عندما تحدث عن وسائل العلم و المعرفة ذكرها بقوله : " طرق تحصيل العلوم ".

وقد اصطلح عليها بـ " وسائل المعرفة "، يقول الغزالي :

" اعلم أنَّ العلم الإنساني يحصل من طريقين :
أحدهما : التعلُّم الإنساني و الثاني : التعلُّم الرباني .

فالعلم الإنساني يحصل عنده من طريقين : [١] التعلُّم الإنساني [٢] التعلُّم الرباني .

ثم يفصِّل ذلك ، فيبدأ بالتعلُّم الإنساني و يقسِّمه إلى :

[أ] التعلُّم من خارج : وهو التحصيل بالتعلُّم ، كأخذ العلم شفاهة أو كتابة عن معلم .

[ب] التعلُّم من داخل : وهو الاشتغال بالتفكُّر ، وهذا التفكُّر مستفاد من النفس الكلي ، وهو عنده أقوى تعليماً وأشد تأثيراً.

و بعد أنْ فرغ من شرح طريق التعلُّم الإنساني في تسلسل منطقي ، ذكر التعلُّم الرباني ، حيث قال: " الطريق الثاني وهو التعلُّم الرباني وهو على وجهين :

الأول: إلقاء الوحي : وخص الله تعالى به الأنبياء و الرسل و العلم الحاصل من الوحي يسمى عنده علماً نبوياً.

الثاني: الإلهام و الكشف : " الإلهام وهو الذي يحصل بغير طريق الاكتساب و حيلة الدليل ولا يدرى العبد كيف يحصل له ومن أين يحصل و يختص به الأولياء و الأصفياء و العلم الحاصل منه يسمى علماً لدنياً و الملهم هو الذي انكشف له في باطن قلبه من جهة الداخل لا من جهة المحسوسات الخارجية ".

ولكن ما هي شروط الإلهام والأوجه التي يحصل بها؟!
وهذا يكون بثلاثة أوجه:
[أ] تحصيل جميع العلوم وأخذ الحظ الأوفر من أكثرها. [ب] الرياضة الصادقة و المراقبة الصحيحة. [ج] التفكُّر .

ابن رشد :

فلسفة ابن رشد و نظريته :

- لم يكن ابن رشد شارحا للفلسفة فحسب ، بل إنه كان فيلسوفا أيضا ، بل يمكن القول بأنه كان واحدا من أكبر الفلاسفة الذين تمثلت فى فكرهم و إنتاجهم خصائص التفكير الفلسفى .

- و إن نظرية المعرفة كما قدمها ابن رشد تعتمد على أن النفس عقل فعال لا يحتوى فى جوهره على أى شىء بالقوة ، فالعقل المادى إذن ليس إلا مظهرا من مظاهر النفس التى تتصل بالبدن ، وليست نظريته فى المعرفة نظرية أفلاطونية محدثة بحال ما.

-و خلاصة نظرية المعرفة الرشدية تقوم على أن المعاني أو اسم الصور العقلية للأشياء لا تهبط من السماء ، و إنما تصعد من الأرض – إن أجيز هذا التعبير – بمعنى أن المعرفة الإنسانية ترجع فى أصولها إلى الأمور الحسية.
- وهذه النظرية تتجلى واضحة في كل مصنَّفات ابن رشد و التي تتجلى فيه النـزعة العقلية و الواقعية حتى في رصده و نقده للمناهج النظرية يبنى ذلك على مدى تأثيرها و نجاحها فى الواقع ومن ثم فقد حكم مثلا على مناهج المتكلمين بالفشل لعدم مناسبتها فى الواقع للجمهور.

فمعرفة الله عند ابن رشد لا تكتسب إلا بالبحث النظري الذي يبدأ من المدركات الحسية ثم يرقى في مدارج المعرفة حتى يصل إلى أسمى مراتبها ، وهى المعرفة الفلسفية ، أى : تلك المعرفة النظرية التي تنحصر في معرفة الأشياء بأسبابها – كما يقول العلم الحديث – لا فى الاتحاد الصوفى المراد به الفناء فى الله سبحانه و الاطلاع على أمور يعجز العقل عن إدراكها.

مفهوم العلم و أقسام العلوم :

إن القيام بتحديد مفهوم العلم عند ابن رشد يقتضي القيام بقراءة جديدة لما كتبه ابن رشد ، تستدعي التطرق لكل العلوم التي اهتم بها ابن رشد في خطابه الفلسفي و إعادة ترتيبها و البحث عن أنواع العلاقة التي تربط بينها و كيف استغل فيلسوف قرطبة معطياتها في مختلف الحقول .

ولعل الأهمية التي خصصها ابن رشد للعلوم تتجلى من خلال وعيه بأهمية تصنيف العلوم و تحديدها و عدم الخلط بين موضوعاتها المختلفة ؛ باعتبار أن الجنس النظري الموضوع لعلم ما يختلف عن الجنس المؤلف لعلم آخر ؛ لكن هذا التمييز بين الموضوعات المكونة للعلوم المختلفة لا ُيخفي التداخلات و نقط الالتقاء بين كل العلوم ، فالنتائج المحصلة في علم معين لا تعد حكرا عليه بل يمكن توظيف بعض مبادئها في علوم أخرى .

تصنيف العلوم عند ابن رشد :

-يشير ابن رشد إلى أنه تكلم عن تصنيف العلوم في غير ما موضع ، وهذا التصنيف الذي يحيل عليه مبنى على أن الصنائع و العلوم ثلاثة أصناف ، وهى إما صنائع نظرية ، وهى التى غايتها المعرفة فقط و إما صنائع عملية وهى التى العلم فيها من أجل العمل ، و إما صنائع معينة فى هذه ومسددة وهى الصنائع المنطقية.

-و الصنائع النظرية صنفان: كلية و جزئية. فالكلية هي التي تنظر في الموجود بإطلاق وفى اللواحق الذاتية له، وهذه ثلاثة أصناف: صناعة الجدل و صناعة السفسطة ، وهذه الصناعة (يعنى ما بعد الطبيعة). وأما الجزئية فهي التي تنظر في الموجود بحال ما. و قيل أيضا هنالك: إن الجزئية اثنتان فقط : العلم الطبيعي ، وهو الذي ينظر في الموجود المتغير و علم التعاليم وهو الذي ينظر في الكمية مجردة عن الهيولى ، وهذا كله مما وضع وضعا في كتاب البرهان) .
- ثم أخذ فى بيان وجه ذلك بطريق السبر و التقسيم .

و يقول فى مقدمة (الضرورى فى أصول الفقه) ممهدا لنقده لمنهج التصنيف الأصولي بناء على تصنيف العلوم الذى سيذكره : إن المعارف و العلوم ثلاثة أصناف :

١- إما معرفة غايتها الاعتقاد الحاصل عنها في النفس فقط ، كالعلم بحدوث العالم و القول بالجزء الذي لا يتجزأ و أشباه ذلك.
٢- و إما معرفة غايتها العمل ، وهذه منها جزئية و كلية... فالجزئية كالعلم بأحكام الصلاة... و الكلية كالعلم بالأصول التي تبنى عليها هذه الفروع من الكتاب و السنة و الإجماع ....
٣- و إما معرفة تعطى القوانين و الأحوال التي بها يتسدد الذهن نحو الصواب في هاتين المعرفتين ، كالعلم بالدلائل و أقسامها... وهذه فلنسمها مسبارا و قانونا

منهج العلوم :

و يعتبر ابن رشد أن كل العلوم -سواء أكانت نظرية أم عملية - تشترك في المنهج ؛ وذلك لأنها كلها تعتمد على القياس و تبحث عن صرح نظري متماسك و صلب .
فهناك أهمية قصوى يشغلها علم المنطق في المتن الرشدي ، فجميع العلوم تعتمد عليه كمنهج يتم من خلاله محاكمة الأقاويل و ترتيبها حسب مرتبتها من التصديق إلى قول برهاني و قول جدلي و قول خطابي و قول سفسطائي و قول شعري حتى يأتي في الدرجة الأولى القول البرهاني كقول علمي وحيد . كذلك يتم في كل العلوم استخدام الطرق المنطقية من استنباط و استقراء و تركيب و قسمة و شرح ما يدل عليه الاسم...إلخ.

من الدلائل التي تبرز أهمية المنطق في المتن الرشدي ، يمكن الإشارة إلى التفاضل بين العلوم و تميز بعضها عن بعض ؛ فالعلوم النظرية أفضل من العلوم العملية ، كما أن هناك تفاضل بين علوم أخرى فعلوم التعاليم أفضل من العلم الطبيعي . يتبين مِمَّا سبق أن هناك حضور للمنطق كمنهج علمي لتصنيف العلوم و ترتيبه من جهة و الحرص أيضا على تجريدها من كل أنواع الأقاويل الغير علمية ، وهو المقصد الذي راود ابن رشد في الجوامع و التلاخيص و الشروح .

عقلانية ابن رشد :

-الغالب على ابن رشد طابع العقل و الاعتداد به و الثقة فى أحكامه و الاعتزاز بالمعارف التى يتوصل إليها و اعتباره حجة و ميزانا توزن به الآراء و الأفكار ، وقد أثمر هذا الطابع لديه موقفا نقديا من بعض الاتجاهات الفكرية و المذهبية التى ترتكز فى موقفها على التقليل من شأن العقل أو إلغاء دوره أو عدم الالتزام بمعاييره الدقيقة
-وقد ظهر آثار هذا الطابع فى جدله مع الحشوية و الصوفية و المتكلمين و الفلاسفة و أتت عقلانيته متميزة عن العقلانية الممزوجة بالتصوف عند غيره من فلاسفة الإسلام فى المشرق أو المغرب وكان لهذا الطابع مظهره الواضح على مصنَّفات ابن رشد .

أشهر أعلام نظرية المعرفة
(كانط و باشلار)

كانط (كانت) :

عمانويل كانْت أو (كانط) Immanuel Kant فيلسوف ألماني و مؤسس « المثالية الكلاسيكية الألمانية »، و « المثالية النقدية » أو « المتعالية » ، فأثرت في عصره و شطرت الفلسفة الحديثة شطرين ، « ماقبل كانْت » و « مابعد كانْت » ، و سيطرت فلسفته على القرن التاسع عشر برمته ، وكانت نتاجاً أصيلاً لما استقاه من سابقيه. تأثرت فلسفته بتيارين كبيرين من تيارات الفلسفة الأوربية ، أحدهما النزعة العقلية ، و الآخر هو النزعة التجريبية التي قرأها عند هيوم Hume و كان تأثيره شديداً فيه حتى وصفه أنه « أيقظه من سباته الاعتقادي ».

و تنقسم فلسفة كانْت إلى مرحلتين أساسيتين: مرحلة ما قبل ١٧٧٠ و تسمى « قبل النقدية » ، وما بعد ١٧٧٠ وتسمى « النقدية ». و كلمة نقدية وضعها كانْت نفسه ، إذ وصف فلسفته الناضجة أنها « مثالية نقدية تقوم على نقد الفلسفة العقلية ». و فيها كتب « نقد العقل الخالص » « مقدمة لكل ميتافيزيقا مستقبلية » و « تأسيس ميتافيزيقا الأخلاق » وغيرها من كتبه.

و يجمع كانْت في كتابه « نقد العقل النظري » بين النزعة العقلية و التجريبية في مركب واحد.
ولم يشك كانْت في المعرفة الرياضية ، لكنه شك في وفي قدرة العقل على الحصول على المعرفة الميتافيزيقية.

و ميز بين الأحكام التحليلية و الأحكام التركيبية . فالأحكام التحليلية يكون محمولها جزءاً من موضوعها كما القول : « الكل أكبر من الجزء ». و تعتمد مبدأ عدم التناقض ، وهي أحكام مستقلة عن كل خبرة حسّية ، فالحكم فيها أولي قبلي و ضروري أي صادق أو كاذب بالضرورة من دون حاجة للتجربة.

أما الأحكام التركيبية : فيزيد محمولها معرفة على موضوعها ، لأن المحمول غير متضمن بالموضوع كالقول : « بعض الأجسام ثقيلة »، و يستدل بالتجربة على أن الجسم ثقيل أو خفيف.

و يرى كانْت أن المعرفة العلمية الحقيقية هي المعرفة التي تُقوم بالحس و الفهم أو التي مصدرها الإدراك الحسي و التفكير أو التي يكون موضوعها الوجود الخارجي ، وما يضيفه الفكر من عنده على التجربة .

ومهمة النقد معرفة ما يأتي من الخارج ، وما يضيفه الفكر عليه ، و يسمي كانْت إضافات الفكر صوراً أو إضافات صورية ، و يسمي مذهبه بالفلسفة المثالية التصورية أو المتعالية (الترانسندنتالية transcendental)

ومن المعروف أن كانط صاحب مشروع نقدي يرتكز على ثلاثة أسئلة رئيسية :

- ما الذي يمكنني أن أعرفه؟ - ما الذي ينبغي لي أن أعمله؟ - ما الذي أستطيع أن آمله؟

و واضح أن السؤال الأول يتعلق بمشكلة المعرفة ، بينما يتعلق السؤال الثاني بالمشكلة الخلقية في حين يتعلق السؤال الثالث بالمشكلة الدينية.

و إذا كان ديكارت قد بدأ بالشك من أجل الوصول إلى المعرفة الصحيحة ، فإن كانط لم يبدأ بالشك المطلق ، فهناك علمين قائمين لا يمكن الشك فيهما وهما العلم الرياضي والعلم الطبيعي .

وقد اختلف كانط مع ديكارت في حديث هذا الأخير عن وجود أفكار فطرية في العقل . فما يوجد في العقل هو فقط مجموعة من المبادئ القبلية التي هي بمثابة شروط ضرورية قائمة في الفهم ، وعن طريقها يعمل هذا الأخير على تنظيم المعطيات الحسية و يركب منها معرفة .

هكذا يرى كانط أن هناك مصدران للمعرفة البشرية ، وهما الحساسية و الفهم . فالحساسية تمدنا بالموضوعات في حين يعمل الفهم على تعقل تلك الموضوعات.

فالمعرفة العلمية الصحيحة ، لا بد أن تتصف بالواقعية من جهة و الضرورة من جهة أخرى . و الذي يمنحها صفة الواقعية هي الحساسية ، بينما يمنحها الفهم صفة الضرورة . ولكي يتصف العلم بهاتين الصفتين ، لا بد أن تكون أحكامه تركيبية و قبلية في نفس الوقت.

و إذا كانت أحكام العلم تركيبية قبلية ، فإن لها مصدرين رئيسيين هما الحساسية و الفهم . فالحساسية هي التي تمدنا بمادة المعرفة نظرا لارتباطها المباشر بالعالم الخارجي في حين يمدنا الفهم بصورة المعرفة و يجعل موضوعات الحساسية قابلة للتعقل .

من هنا فالمعرفة هي نتاج تضافر وت كامل بين كل من الحساسية و الفهم . وهذا ما تعبر عنه عبارة كانط : " إن المفاهيم بدون حدوس حسية جوفاء ، كما أن الحدوس الحسية بدون مفاهيم عمياء ". ذلك أن كانط يميز بين أحكام الإدراك الحسي و أحكام التجربة ، فالأولى تتأسس على الترابط المنطقي للإدراكات الحسية في الحساسية ، ولا تحتاج إلى أي تدخل من قبل الفهم .

أما الأحكام الثانية فهي نتيجة لتدخل مقولات الفهم التي تعمل على تنظيم الأحكام الحسية و تحويلها إلى أحكام تجربة تتسم بصفات الموضوعية و الكلية و الضرورة.

و يربط كانط بين أنواع الأحكام و أنواع المقولات ؛ فلكي يكون الحكم ضروريا و كليا لابد له من أن يستمد من المقولات القبلية للفهم صورة محددة من الصور.

وقد صنف كانط المقولات ، تبعا للتصنيف المدرسي للأحكام من حيث الكم و الكيف و الإضافة و الجهة . وسعى إلى البرهنة على أن المقولات هي بمثابة شروط أولية / قبلية ضرورية لوجود الموضوعات الخارجية بالنسبة إلينا.

فمقولات الفهم القبلية هي التي تجعل التجربة ممكنة بالقياس إلينا. و الفكر يتعقل الوقائع الخارجية و يجد فيها قوانينه الخاصة . كما أن المقولات تنطبق على الأشياء حتما ، ومن ثمة فالطبيعة خاضعة لقوانين العقل .

و إذا كان الفهم يفرض صوره و مقولاته القبلية على الطبيعة ، و يعمل على تركيب و توحيد الوقائع الحسية المشتتة ، فليس معنى ذلك أن العقل هو الذي يخلق الواقع أو أن العالم هو من تصورنا أو تمثلنا ، بل إن للعالم الخارجي وجوده الفعلي المستقل عن الذات و الذي لا يمكن الشك فيه أبدا.

لقد أحدث كانط ثورة في مجال نظرية المعرفة حيث جعل الواقع يدور في فلك الفكر بعدما كان الفكر في السابق يدور في فلك الواقع . و يتجلى ذلك في حديث كانط عن مجموعة من المقولات و المبادئ القبلية التي يحتوي عليها الفهم وهي التي تجعل أية معرفة بالواقع الطبيعي ممكنة.

باشلار :

يعدّ غاستون باشلار (١٨٨٤-١٩٦٢) واحداً من أهم الفلاسفة الفرنسيين . كرّس جزءاً كبيراً من حياته و عمله لفلسفة العلوم ، و قدّمَ أفكاراً متميزة في مجال الابستمولوجيا حيث تمثل مفاهيمه في العقبة المعرفية و القطيعة المعرفية و الجدلية المعرفية و التاريخ التراجعي ، مساهمات لا يمكن تجاوزها ، بل تركت آثارها واضحة في فلسفة معاصريه ومن جاء بعده .

وقد برز كواحد من أهم و أشهر المتخصصين بفلسفة العلوم حيث درس بعمق الوسائل التي يحصل بها الإنسان على المعرفة العلمية. و قيمة فلسفة باشلار تتمثل في رفضها لا غير، رفضها للأنساق الفلسفية المثالية و العقلانية و نقدها.

إلا أن قراءة باشلار تظهر أن الفلسفة التجريبية البحتة أيضا كانت محلا للنقد ، فقد كان في منطقة وسطى بين العقلانية المثالية و التجريبية المثالية أيضا ، يسمي باشلار هذه المنطقة ب " العقلانية التطبيقية " و عنون بها كتابه الذي صدر في ١٩٤٨و العقلانية التطبيقية فلسفة تقوم على الحوار بين العقل و التجربة. ترفض الانطلاق من مبادئ قبلية كما ترفض ربط الفكر العلمي بمعطيات الحس و الواقع وحدها

و تقوم العقلانية التطبيقية على أربعة مبادئ تقف ضد مفاهيم الفكر العلمي القديم وهي :

أ - ليس ثمة عقل ثابت يحكم جميع أنماط معرفتنا. ب- ليس ثمة منهج شامل .
ج- ليس ثمة واقع بسيط يقتصر العالِم على معاينته و شرحه بل هو معقد و مركب من عناصر متعددة تشكل الظواهر المشاهدة عينة واحدة ضمن بنية متكاملة من الظواهر.
د- على فلسفة العلم أن تفتح المكان للأبستمولوجيا بوصفها الدراسة النقدية لتكوين المفاهيم العلمية الرئيسية و توظيفها في حقلها الخصوصي وليس بالنسبة إلى نظرية المعرفة بشكل عام .

القطيعة الابستيمولوجية :

إن مفهوم القطيعة الابستمولوجية ، هو المفهوم الذي يعبر في نظر باشلار عن القفزات الكيفية في تطور العلوم و يكون من نتائجها تجاوز العوائق الابستمولوجية القائمة .
فمثلا عند الانتقال من فيزياء النيوتنية إلى النظرية النسبية هذا لا يكون مانعا نهائيا لظهور عوائق ابستمولوجية جديدة داخل الفكر العلمي الجديد ذاته ، وهذا مايعنية باشلار عندما يقول " بان تاريخ العلوم جدل بين العوائق الابستمولوجية و القطيعات الابستمولوجية "
وهذا التطور الجدلي عند باشلار يأتي ردا على النظرية الاستمرارية على مستويين .

الأول: الاستمرار من التفكير العامي إلى التفكير العلمي .
أما المستوى الثاني : الاستمرار بين الفكر العلمي الجديد و بين الفكر العلمي القديم له.

أي أن في تاريخ العلوم قفزات كيفية تحقق قطيعة بين الفكر العلمي و المعرفة العامة بحيث لم يعد من الممكن النظر إلى النظريات المعاصرة من وجهة نظر المعرفة العامة ، فان باشلار يتحدث في كتاباته عن مفهوم القطيعة الابستمولوجية على مستويين هما :

١- قطيعة ابستمولوجية بين المعرفة العامة و المعرفة العلمية.
٢- قطيعة ابستمولوجية تتحقق مع النظريات العلمية المعاصرة في الرياضيات و العلوم الفيزيائية بين العلم في الماضي و الفكر العلمي الجديد الذي ظهر مع هذه النظريات.

العوائق الابستمولوجية :

ليست عوائق تطرأ على العملية العلمية من الخارج و ليست نتيجة لا للشروط الخارجية لعملية المعرفة ولا للحواس و الفكر كأداتين ذاتيتين لبلوغ المعرفة عند الإنسان ، بل هي منبثقة من صميم المعرفة العلمية ، و تبرز في الشروط النفسية للمعرفة تبعا لضرورة وظيفية ، وذلك بمجرد قيام العلاقة بين الذات و الموضوع ، فالمعرفة العلمية هي التي تنتج عوائقها الابستمولوجية بنفسها .

و يستنتج باشلار من خلال قراءته للمعرفة العلمية عددا من العوائق الابستمولوجية.

العائق الأول : التجربة الأولى ، أي التجربة السابقة على النقد
العائق الثاني : عائق التعميم ، يقول باشلار: " إنه ما من شيء عمل على كبح تطور المعرفة العلمية كما فعل المذهب الخاطئ للتعميم الذي ساد من أرسطو إلى بيكون و الذي ما يزال بالنسبة لعقول كثيرة المذهب الأساس للمعرفة ".
العائق الثالث : العائق اللفظي و يعني أن هناك ألفاظا تتمدد أثناء استخدامها فتصبح تدل على أشياء خارج دلالتها الأصلية مما يجعل من استخدامها مشوشا و مبهما إلى حد كبير.
العائق الرابع : هو العائق الجوهري. أي فكرة الجوهر التي تسببت في توهان العلماء لعصور طويلة بحثا عن جواهر الأشياء بدلا من ظواهرها.
العائق الخامس : العائق الإحيائي و يعني به إدخال بعض العلوم في مجالات غير مجالاتها التي تعمل فيها خصوصا إدخال الأحياء (البيولوجيا) في علم الكيمياء و الفيزياء.

الوضعية المنطقية Logical Positivism :

الوضعية المنطقية اسم أطلقه عام ١٩٣١ كل من بلومبرج و هربرت فايجل ، على مجموعة من الأفكار الفلسفية التي أخذ بها أعضاء جماعة (فينّـا) وهذه الجماعة قد تكونت منذ عام ١٩٠٧، حينما أجتمع عالم الرياضيات هانـزهان و عالم الاقتصاد أتونويراث ، و العالم الفيزيائي فيليب فرانك ، وقد أصبحوا جميعاً من الأعضاء البارزين في جماعة فيّنـا، كما ان معظم فلاسفة هذه المدرسة هم من الألمان .

و أشهرهم رودلف كارناب الذي أشتغل بتدريس الفلسفة في جامعات فينّا و براغ و شيكاغو على التوالي ، وهو يعتبر رئيساً للمدرسة ، وهي واحدة من المدارس الفلسفية التي ظهرت في القرن العشرين ، كان بدء تكوين جماعة فيّنـا الفعلي منذ عام ١٩٢٢ حينما دعيّ رودلف كارنـاب بناءً على إيعاز من أعضاء الجماعة إلى فيّنـا الى انشاء مدرستهم أو حلقتهم النقدية التي تهتم بالقضايا الفلسفية ذات الطابع المنطقي و كذلك الرياضيات. وقد أطلق على جماعة فينا اسم الوضعية المنطقية و بسبب الحرب العالمية الثانية تشتت أعضاء جماعة فينا.

فهاجروا إلى أنحاء مختلفة من العالم و حملت هذه الفلسفة أسماء منها: التجريبية العلمية و التجريبية المنطقية و حركة وحدة العلم و التجريبية الحديثة و الفلسفة التحليلية ، ولقد رفضت الوضعية المنطقية جميع الأسئلة الفلسفية المتعلقة بالميتافيزيقيا أو المعرفة أو الأخلاق ، لان اهتمامها بالتحليل المنطقي فقط. فرفض الميتافيزيقيا من أهداف الميثاق العلمي لجماعة فينّا فتخليص الفلسفة و العلوم من الميتافيزيقا و القضايا الفارغة ضرورة لبناء قاعدة علمية لجميع العلوم ، بحيث تكون أو تصلح لأن تكون أساساً لوحدة العلم .

كل شيء لا يخضع للتجربة و التحليل غير معترف به عند الوضعية المنطقية بما فيه الإنسان لأنها قضايا خالية من المعنى . كما أكدت الفلسفة الوضعية أن وظيفة الفلسفة وعملها هو تحليل المعرفة و خاصة المتعلقة بالعلم و أكدت أن المنهج المتبع هو تحليل لغة العلم .

اهتمت الوضعية المنطقية باللغة بشكل كبير ، فاللغة بنظرها تخبر ما في الفكر و العقل من صور و تمثلات و اشكال و منطق و لاهوت و ميتافيزيقية .... الخ ،

و كانت العلاقة بين اللغة و علم المنطق يعود الى جهود الفيلسوف ج. أ. مور (١٨٧٣ – ١٩٥٨) و الفيلسوف راسل (١٨٧٢ - ١٩٧٠)، ومن سار على منهجهم العقلي و المنطقي و اشهرهم هو الفيلسوف فيتغنشتاين (١٨٨٩ - ١٩٥١) الذي برع في الوضعية المنطقية و اصبح فيما بعد احد اهم و اشهر ممثليها في العالم الغربي .

و يجمع الوضعيون بمختلف نزعاتهم على نقاط أربع أساسية :

١. مهمة الفلسفة هي تحليل لما يقول العلماء لا تفكيرا تأمليا ينتهي بالفيلسوف إلى نتائج يصف بها الكون و ماضيه.
٢. حذف الميتافيزيقيا من مجال الكلام المشروع لأن تحليل عباراتها الرئيسية تحليلاً منطقياً قد بين إنها عبارات لا معنى لها ، أي إنها ليست بذات مدلول حتى يصح وصفها بالصواب و الخطأ.

٣. اتفاقهم على نظرية هيوم في تحليل السببية تحليلاً يجعل العلاقة بين السبب و المسبب علاقة ارتباط في التجربة لا علاقة ضرورة عقلية.
٤. اتفاقهم على أن القضايا الرياضية ، و قضايا المنطق الصورية تحصيل حاصل ، لا تضيف للعلم الخارجي علماً جديداً فالقضية الرياضية ٢+٢=٤ ما هي إلا تكرار لحقيقة واحدة رمزين مختلفين.
أما أهم الانتقادات الموجهة لهذه الفلسفة فتعزى إلى تناولها للغة يبدو متزمتاً و نظرياً بغير وعي ، و تبين أن افتراضاتها قد أسرفت بالبساطة أكثر مما يجوز لها.

و منهجها شديد التفصيل و التعقيد و التشعب رغم ان المنهج الرياضي و المنطقي هو السائد فيها ، الا انها بالغة الصعوبة و التعقيد ، ومن اشهر رجالها رسل و فيتغنشتاين الذي كان صديقا لبرتراند رسل وقد ترك لنا فيتغنشتاين و رسل المراجع الهامة التي تتناول اصول الفلسفة الوضعية.

الظاهراتية (الفينومينولوجيا) :

ظهرت هذه الحركة الفلسفية فى بدايات القرن العشرين الميلادي ، ومثل العديد من الحركات الفكرية ، فقد كان لها إرهاصات و ملامح متناثرة في أعماق عدد من المفكرين ، إلا أن تأسيسها و الصياغة الشاملة لنسقها تمت على يد الفيلسوف الألمانى أدموند هوسرل (1859 – 1938) Edmond Husserl الذي يعتبر البعض أنه في أهمية " هيجل " و "كانت " و" ديكارت ".

وقد بدأت الفينومينولوجيا بنقد فلسفات و علوم العصر و مناهجها و أسسها و أنساقها المعرفية ، وكان أبرز هذه الانتقادات هو ما وجهته إلى المذهب الطبيعى الذى ساد بسيادة المنهج التجريبى و نجاحه الفائق فى مجال العلوم الطبيعية.

سعت الفنيومينولوجيا نحو بداية جديدة متحررة من كل ما هو مسبق من نظريات أو افتراضات أو مفاهيم إلى إنشاء علم أولى أو علم بدايات يضع الركائز الثابتة التى يمكن أن تقوم عليها المعرفة و أية صياغات لها فى شكل مفاهيم أو فروض أو نظريات فى كافة العلوم الفلسفية منها أو الطبيعية أو الإنسانية إلى وضع فلسفة شاملة تكون بمثابة معيار لفحص منهجي لكافة العلوم .

ومن هنا فقد حاولت صياغة منهج معرفى أساسه العودة إلى الأشياء نفسها إلى البحث المباشر فى الظواهر كما " يخبرها " الوعى بتحرر كامل من أى مفاهيم أو نظريات مفسرة مسبقة وسعت إلى أن يكون لهذا المنهج شروط الوثوق و التحقق بالدرجة التى تجعل من نسقها علما صارما.

يعرفها " ادموند هوسرل " بأنها : " محاولة لدراسة الأشياء التي يمكن التعرف عليها بواسطة احد حواسنا ".

وهي مذهب فلسفي يقوم على أشكال مختلفة للوعي و تنوعاته و الطرق التي يعي بها الناس العالم الذي يعيشون فيه ، و تركز هذه الفلسفة على التجربة المعاشة و التجربة الإنسانية الغنية بالمعاني و الدلالات ، كما تركز على الكيفية التي يقرأ الإنسان فيها مشاركته في الحياة .

و تقوم على مسلمتين هما :

أ- الامتناع كلية عن إصدار أية أحكام ترتبط بموضوع الدراسة ، و عدم تجاوز التجربة الذاتية و قدرتها في إدراك الحقائق الخارجية التي يكون مصدرها الحواس .

ب- اعتبار موضوع المعرفة هو نفسه الوعي بذات المعرفة.
ومن ثم فالفكرة الأساسية في الفينومينولوجيا تكمن في مفهومها و تفسيرها لقصدية الوعي ، و كيفية توجيهه نحو الموضوع ، فليس هناك موضوعا بدون ذات ، ولا وجود إطلاقا للواقع المستقل عن الوعي الذاتي .

يتجاهل أنصار الفينومينولوجيا كلية حقيقة العالم الموضوعي ، فالظاهرة باعتبارها موضوع للدراسة تعبر عن ذاتها وعن نفسها بصورة مباشرة كما يدركها أو يعكسها أو يتحقق منها الوعي الذاتي. ومن ثم فالوعي الذاتي أو الشعور يعتبر وسيلة لفهم و إدراك العالم الخارجي . فلا وجود أبدا للواقع المستقل عن الوعي الذاتي . فالنظرية الفينومينولوجية تركز على العملية أو الطريقة التي نفهم بها العالم وليس تفسيرها.

الفينومينولوجيا كنقد لنظريات المعرفة : إذا كانت نظرية المعرفة هي تلك السياقات المعرفية التي تشمل التنظيرات التي بحثت إمكانية البشر في التعرف و حدود تلك الإمكانية و كذلك القيمة التي تعطى لتلك المعارف الناتجة من عملية التعرف ، فإن الفينومينولوجيا هي نظرية في المعرفة تتأسس على نقد معمق لنظريات المعرفة الأساسية و بالذات نظرية المعرفة عند ديكارت و هيوم و كانط .

إسلامية المعرفة :

تمثل نظرية المعرفة في المنظور الأكاديمي إحدى المحاور الأساسية للدراسات الفلسفية الحديثة . كما أنها في المنظور المنهجي تسهم في معالجة معظم القضايا التنظيرية سواء من ناحية مستوياتها أو مصادرها أو رسائلها.

و يتباين ذلك بتباين المجال الموضوعي كما هو الحال في عم الكلام أو التصرف أو التفسير في العلوم الشرعية أو في الفلسفة أو علم النفس أو اللغة في العلوم الإنسانية أو في علم الاجتماع أو التربية أو المكتبات في العلوم الاجتماعية أو في علم الجيولوجيا أو الفيزياء أو الفلك في العلوم الطبيعية .

و نظرية المعرفة كانت و مازالت موضع اهتمام المفكرين و الباحثين الراغبين في الوصول إلى حقيقة السعادة الدنيوية . ولقد أسهمت في ذلك المجال عقول المفكرين في معظم الحضارات على مر العصور ، إلا أن الحضارة الإسلامية بصفة خاصة قد تميزتا بمنظومتها الفكرية التي تجعل الوحي الإلهي و خلافة الإنسان في الأرض منطلقين أساسيين لأي وحدة تنظيرية تستهدف البحث عن الحقيقة ، و تحصيل سعادتي الدنيا و الآخرة على حد سواء.

كان لتعثر جهود الإصلاح أثره الكبير على مجموعة من المفكرين و الباحثين و المصلحين المسلمين في أن يدركوا حالة التراجع الإسلامي من جهة ومدى التناقض بين التصورات الغربية الوضعية عن المعرفة و بين مثيلاتها الإسلامية من جهة ثانية.

و حسب هؤلاء فإن أيا من المصلحين السابقين لم يستطع أن يقف على هذا التناقض " إن جيلنا هو الذي اكتشف هذا التناقض عندما عاشه في حياته الفكرية ، على أن العذاب النفسي الذي ولدّه هذا التناقض فينا جعلنا نستيقظ مرعوبين و مُدركين تماما ما تتعرض له الروح الإسلامية من انتهاك في جامعات العالم الإسلامي. ولهذا فنحن نُنبه العالم الإسلامي إلى هذا الشر، و نسعى ولأول مرة في التاريخ إلى تطوير خطة توقف سريانه و انتشاره و تتصدى لنتائجه و تُعيد التعليم الإسلامي إلى نهجه القويم .

و ذهبوا إلى أن الأزمة التي تُعاني منها الأمة هي أزمة فكرية و أن الأزمات السياسية و الاقتصادية و الاجتماعية ما هي إلا تجليات لهذه الأزمة الأم .

وقد قدم هؤلاء رؤية يمكن وصفها بالمتفردة حيث وقفت موقف النقد من المعرفة الغربية للمرة الأولى ، كما أنها تبنت إستراتيجية أو خطة مقترحة للعمل عرفت باسم (إسلامية المعرفة) وهكذا اجتمع في هذه الرؤية النقد و التقويض جنبا إلى جنب مع البناء و التأسيس .

و يُعد الفاروقي من أوائل من اشتغلوا على تمحيص الأسس الفلسفية التي تأسست عليها المعرفة الغربية و مقارنتها بالأسس الإسلامية ، و خلص من خلال المقارنة إلى أن هناك اختلافات لا مجال لإنكارها تجعل من التسليم الإسلامي المطلق للمعرفة الغربية أمرا مُتعذراً ، وهذه الاختلافات هي :

- الاعتقاد بأن الغيب لا يُمكن أن يكون مصدراً للمعرفة .
- و أن العلم هو ما يتعلق فقط بالحقائق الموضوعية التي ترصدها الحواس .
- و أنه يخلو من أي موجهات أخلاقية أو قيمية .
- و أن غايته القصوى إشباع الحاجات المادية لبني البشر و تحقيق سعادتهم دون أن يُعنى بالارتقاء به .

على النقيض من هذا تقف المعرفة الإسلامية التي تتأسس – حسب الفاروقي – على :

- مبدأ " وحدة الحقيقة " الذي يعني أن الله سبحانه و تعالى هو مصدر المعرفة ،
- و أن وحيه الإلهي قد تضمن إلى جوار صفاته عز وجل (الحقيقة المطلقة العليا) بعض الإشارات الكونية (الحقائق الموضوعية)

-و أنه ليس ثمة تعارض بين الوحي من جانب و بين العقل و العلم من جانب آخر ؛ فالعقل هبة من الله للإنسان و تقع على عاتقه مهمة مزدوجة هي استيعاب الوحي و اكتشاف الأسباب و السنن الكونية.

-و يذهب الفاروقي إلى أن هناك ما يحول بين العلم الإسلامي و بين الانزلاق إلى ما انزلق إليه العلم الغربي من إنكار لوجود الإله ومن نهب للطبيعة و إعلان للسيطرة عليها ؛ ذلك أنه يعمل في إطار من القيم و الأخلاق المستمدة من الوحي مصدر العلم و المعرفة ؛ و نظراً لأخلاقيته فهو يرتبط بالجماعة و الأمة إذ الأخلاق هي مجموعة ضوابط تنظم علاقة الفرد بالمجموع العام ، ولا يمكن أن يكون مجال تطبيقها الدائرة الفردية و حسب .

طرحت إسلامية المعرفة تصورا للعملية المعرفية مفترضة أن إنتاج معرفة إسلامية يقتضي أمرين :

الأول : الاطلاع الواسع على المنتج المعرفي الغربي و منهجيات البحث العلمي و الانتقادات الموجهة إلى المعرفة الغربية من جانب المفكرين الغربيين وهذا الاطلاع العميق يعني وقوفا من الباحث المسلم على آخر التطورات العلمية و معرفة ما الإضافات التي يمكن تقديمها إليها.

والثاني : أن يكون الباحث متمكنا من التراث ، ومن هنا نبتت فكرة الدعوة إلى تيسير التراث وقد اقترح الفاروقي إجراءات عملية في سبيل تيسيره من قبيل القيام بتبويبه و تصنيفه وفقا لتقسيمات العلوم الاجتماعية و أقسامها ، و التعريف بمصطلحاته بلغة يسيرة و مفهومة ، ونشر بعض الكتب التراثية الهامة مع تقديم شروح لها.

ليصبح بمقدور الباحث المسلم أن يجيب على أسئلة ثلاث : ما هي مساهمة التراث الإسلامي في القضايا التي تثيرها العلوم الاجتماعية و الإنسانية ؟ و أين يتفق و يختلف معها ؟ و كيف يمكن أن يُسهم في تصحيح و تقويم مسار المعرفة الإنسانية و الاجتماعية المعاصرة ؟

المبادئ الأساسية للمنهجية الإسلامية :

إن أسلمة المعرفة لهي مطلب حتمي لإزالة الثنائية الموجودة في النظام التعليمي، التي هي بدورها مطلب حتمي لإزالة الثنائية من حياة الأمة و لعلاج انحرافاتها ... إن " أسلمة المعرفة "

فضلاً عن أنها تعالج ألوان القصور التي انزلقت إليها المنهجية التقليدية فإنها تأخذ في الاعتبار عدداً من المبادئ التي تمثل "جوهر" الإسلام ...

ذلك أن عملية إعادة صياغة كافة فروع العلم في إطار الإسلام تعني إخضاع نظريات تلك العلوم و مناهج البحث فيها و مبادئها و غاياتها، تلك المبادئ و المفاهيم الجوهرية ، و التي تتمثل فيما يلي :

١- وحدانية الله (سبحانه و تعالى): في الفكر الإسلامي فالله هو مبدأ كل شيء وهو غاية كل شيء . فوجوده تعالى و أفعاله هي الأسس الأولى التي عليها يقوم بناء كل المعارف و نظامها . و سواء أكان موضوع المعرفة هو عالم الذرة الصغير أم عالم النجوم الكبير أم أعماق النفس أم سلوك المجتمع أم مسيرة التاريخ

٢- وحدة الخلق :

أ- النظام الكوني .

ب- الخليقة كمملكة من الغايات: الله سبحانه و تعالى (خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيراً) (الفرقان: الآية ٢). هذا التقدير هو الذي يعطي كل شيء طبيعته وعلاقاته بالأشياء الأخرى ، و منهجه في الوجود

جـ- تسخير الخليقة للإنسان : منح الله تعالى العالم للإنسان كنعمة مؤقتة و ليكون مجالاً لنشاطه – وجعل كل شيء فيه مسخراً له.

٣- وحدة الحقيقة و وحدة المعرفة : من المؤكد أن العقل تعرض له الأوهام و الضلالات و الشكوك. حقاً إن قدرته على تصحيح نفسه توفر له درجة لا بأس بها من الحماية ، لكنه بالنسبة للحقيقة المطلقة – و بسبب قصوره البشري – يحتاج إلى تعزيز من مصدر مبرأ من الخطأ ، وهو الوحي. وبمجرد أن يتم إرساء القضايا المتعلقة بالمبادئ الأولية أو المطلقة، فإن العقل يكتسب عندئذ قوة يستطيع بها أن يتغلب على ما يعترضه من مشكلات.

أما فيما يتعلق " بنظرية المعرفة " فإن خير ما يوصف به موقف الإسلام هو أنه قائم على " وحدة الحقيقة " ، وهذه الوحدة مستمدة من وحدانية الله المطلقة ، إن " الحق " هو أحد أسماء الله الحسنى ؛ و إذا كان الله واحداً بالفعل كما يؤكد الإسلام ، فلا يمكن أن تتعدد الحقيقة.

إن الله يعلم الحقيقة و ينزلها من خلال الوحي صافية إلى خلقه ، فلا يمكن أن يجيء ما يتنزل به الوحي مختلفاً عن ما في الحقيقة الواقعية لأن الله سبحانه هو خالق الحقائق كلها الواقعية منها و المطلقة. وهذا التطابق يقوم على مبادئ ثلاثة عليها ترتكز المعرفة الإسلامية كلها :

الأول : إن وحدة الحقيقة تعني رفض أي إمكانية للتناقض بين الحقائق الواقعية وما يأتي به الوحي.
الثاني : إن وحدة الحقيقة تفرض أنه لا يوجد تعارض أو خلاف أو تفاوت مطلق بين العقل و الوحي
الثالث : إن وحدة الحقيقة أو طبيعة قوانين المخلوقات و السنن الإلهية ، تفرض أن باب البحث في طبيعة الخلق أو في أي جزئية منه لا يمكن أن يغلق ، وذلك لأن سنن الله في خلقه غير محدودة.

٤- وحدة الحياة : و يتضمن ما يلي :

أ. الأمانة : و الإسلام يؤكد كل التأكيد أن لوجود الإنسان سبباً وأن هذا السبب هو عبادة الله تعالى .

ب. الخلافة : إن حمل الإنسان للأمانة الإلهية يجعله في مقام الخلافة أو النيابة عن الله. و تتمثل خلافته في إنفاذ القوانين الأخلاقية التي هي و القوانين الدينية شيء واحد.

ج- الشمولية : إن منهج الإسلام لبناء الثقافة و الحضارة منهج شامل ، كما يجب أن يكون إن فهمناه حق الفهم . وهذا الشمول هو من الخصائص الأساسية للشريعة . فكل جانب من الحياة الإنسانية له حكمه الملائم في الإسلام.

٥- وحدة الإنسانية : مادامت الوحدانية صفة لله عز وجل ، وهو سبحانه الخالق ، فلابد أن تمتد صفة الوحدة الإلهية إلى كل البشر لأنهم من خلقه . ومن الطرف الآخر ، لابد للبشر أن يرتبطوا جميعاً كمخلوقين بخالقهم . هذا المبدأ هو السبب الذي يقف و راء الحقيقة الإلهية التي قررها القرآن: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَ أُنْثَى وَجعَلْنَاكُمْ شُعُوباً و قَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ .....)(الحجرات: ١٣).

مراجعة عامة لأهم ما في المقرر

ما هي المعرفة ؟

-المعرفة مصدر من عرف يعرف ، فهي عكس الجهل .
-و تطلق كلمة المعرفة على كل ما وصل إلى إدراك الإنسان من تصورات ، مثل المشاعر أو الحقائق أو الأوهام أو الأفكار التي قد تسهم في التعرف على البيئة من حوله و التعامل معها أو قد لا تسهم أو تضر به .

ولها عند القدماء عدة معان : منها إدراك الشيء بإحدى الحواس ، ومنها العلم ، مطلقا تصوراً كان أو تصديقاً ، و منها إدراك البسيط سواء كان تصوراً للماهية أو تصديقاً بأحوالها ، ومنها إدراك الجزئي سواء كان مفهوم جزئياً أو حكماً جزئياً ، ومنها إدراك الجزئي عن دليل ، ومنها الإدراك الذي هو بعد الجهل .

-كما يمكن تعريفها بأنها " مجموعة من المعاني و المفاهيم و المعتقدات و الأحكام و التصورات الفكرية التي تتكون لدى الإنسان نتيجة لمحاولاته المتكررة لفهم الظواهر و الأشياء المحيطة به "

أنواع المعرفة :

-تشمل المعرفة مجموع المعارف الروحية و الوثنية و الاقتصادية و السياسية و الثقافية و العلمية و في الوقت نفسه .
-لذا توجد أنواع مختلفة من المعارف فإذا كان إدراجها ضمن فئات معينة قد شابه نوع من الاختلاف بين المفكرين إلا أن هذا الاختلاف يعود بالدرجة الأولى إلى المدرسة الفكرية التي ينتمي إليها صاحبها.

- ولذا يمكن تقسيمها عدة تقسيمات أو تسمية عدة أنواع من المعرفة :

المعرفة العامية و الدينية و الميتافيزيقية و الفلسفية و السياسية و التقنية و المعرفة العقلية التجريبية و التنظيرية و الوضعية و الجماعية و الفردية ... ألخ .

و أهم هذه الانواع :

-و لهذا فإن أهمية تناول نظرية المعرفة كبناء نظري متكامل يتناول مختلف أوجه القضية يبدو من الأهمية بمكان. مثل طبيعة المعرفة - إمكان المعرفة - مصادر المعرفة - مناهج المعرفة – أهم النظريات و أهم الذين تناولوا قضايا المعرفة.
-لأن إدراكنا لهذا الموضوع بصورة بناء نظري متكامل تعطي لنا القدرة على فهم مختلف النظريات المتعلقة بالمعرفة و إمكانها و مصادرها و أنواعها و مناهجها و ضوابطها ، لنستطيع بعد ذلك أن نتبين ما هو الصواب فيها وما هو الخطأ ، كما نتبين من خلالها ما يمكن أخذه وما يمكن رده ردا علميا مبرهنا .

و مقررنا له فائدتان :

-فائدة نظرية ببناء و عينا و فهمنا الفكري و العلمي للموضوع .
-و فائدة عملية تمكننا من امتلاك أدوات نميز بها مختلف النظريات العلمية و مواقفها و تطبيقاتها .

إمكانية المعرفة :

يمكن التعبير عن الإشكالية المتعلقة بإمكان المعرفة من خلال التساؤلات التالية :هل المعرفة ممكنة ؟ وهل بإمكان العقل إنتاج معرفة حقيقية بالإنسان و بالطبيعة وما وراء الطبيعة ؟ وما هي الأسباب أو المحددات التي تجعل هذه المعرفة ممكنة أو غير ممكنة ؟

في إطار معالجة هذه الإشكالية ، يمكن التمييز بين فريقين متعارضين ؛ أحدهما يشكك في إمكانية وجود الحقيقة و يقر بعجز العقل و عدم قدرته على بلوغ أية معرفة صحيحة بالأشياء و الظواهر ، و يمثل هذا الموقف الفلاسفة الشكاك أو أصحاب الشك المذهبي الذين اتخذوا الشك عقيدة لهم في الحياة ، بحيث أنكروا جميع الحقائق ولم يستطيعوا الخروج من دائرة الشك. أما الفريق الآخر فيمثله الفلاسفة الاعتقاديون أو الوثوقيون الذين يثقون في قدرة العقل على بلوغ الحقيقة و اليقين ، و يقولون بالتالي بإمكانية بلوغ الحقيقة و يعترفون للعقل قدرته على بلوغ المعرفة المتعلقة بالظواهر سواء كانت طبيعية أم إنسانية.

نظرية المعرفة و الابستيمولوجيا :

الإبستيمولوجيا epistemology مصطلح ذو أصل إغريقي مؤلف من كلمتين: epistemo و تعني المعرفة و logos و تعني علم . و يعني المصطلح حرفياً علم المعرفة أو علم العلم.

أما المعنى المعاصر لمصطلح إبستيمولوجيا في الفلسفة العربية و الفرنسية فهو: الدراسة النقدية للمعرفة العلمية.

و يعرف المعجم الفلسفي الابستومولوجيا بأنها (دراسة نقدية لمبادئ العلوم المختلفة و فروضها و نتائجها و تهدف إلى تحديد أصلها المنطقي و قيمتها الموضوعية).

و تطلق في اللغة الانجليزية على نظرية المعرفة بوجه عام. يقول *رونز*: " الابستومولوجيا أحد فروع الفلسفة الذي يبحث في أصل المعرفة و تكوينها و مناهجها و صحتها ".

ولكن المعنى الأنغلوساكسوني هو معنى " نظرية المعرفة بصورة عامة " أكثر مما هو " نظرية العلم "؛ و مصطلح " فلسفة العلوم " الفرنسي ، يستخدم مرادفاً للإبستومولوجيا استخداماً شائعاً.

و الابستيمولوجيا بوصفها الدراسة النقدية للعلم تختلف عن نظرية المعرفة . ففي حين تتناول نظرية المعرفة عملية تكون المعرفة الإنسانية من حيث طبيعتها و قيمتها و حدودها و علاقتها بالواقع .

فإن موضوع الإبستيمولوجيا ينحصر في دراسة المعرفة العلمية فقط.

و إذا كانت الإجابات التي تقدمها نظرية المعرفة « إطلاقية » و عامة و شاملة، فإن الإبستيمولوجيا تدرس المعرفة العلمية في وضع محدد تاريخياً ، من دون أن تنزع نحو إجابات مطلقة . بل ترى الإبستيمولوجيا في التعميمات الفلسفية لنظرية المعرفة عائقاً أمام تطور المعرفة العلمية . ذلك أن التصورات الزائفة عن المعرفة تؤثر سلبياً في مجال المعرفة العلمية و خاصة حين تضع حدوداً للعلم . فالإبستيمولوجيا ليست استمراراً لنظرية المعرفة في الفلسفة بل هي تغير كيفي في النظر إلى علاقة الفلسفة بالعلم ، و تجاوز للتناقض بين نظرية المعرفة و العلم.

إن الإبستيمولوجيا أتت على ما كان يعرف بفلسفة العلم التي تولدت من علاقة الفلسفة بالعلم و تناولت جملة موضوعات أهمها علاقة العلم بالمجتمع و تأثيره في تكوّن النظرة الفلسفية إلى الطبيعة و الكون.

نشأة نظرية المعرفة :

- مبحث نظرية المعرفة طرأت عليه تغيرات و تعديلات أثناء تطور الفلسفة و عبر تاريخها الطويل ، فهو ليس وليد عصر معين أو فيلسوف معين ، بل هو مفهوم بتطور دائماً.
- فقد أصبحت المعرفة منذ كانط ذات مكانة مركزية في الفلسفة فاقت بها كل جوانب الفلسفة الأخرى .
- ومنذ ذلك التاريخ لم تعد الفلسفة معرفة للعالم ، بل تفكير في هذه المعرفة بالعالم أو هي معرفة بالمعرفة.
- ومن هنا وجد التمييز بداية بين طريقة وضع المشكلة لدى فلاسفة اليونان بشكل عام ، وب ين طريقة وضع المشكلة عند الغربيين في العصر الحديث ، وعند العلماء المسلمين.

طريقة فلاسفة اليونان في وضع مشكلة المعرفة :

-وكان أول من لمس لب نظرية المعرفة من الفلاسفة اليونان بحق هو بارمنيدس ، حيث ظهرت مشكلة المعرفة بمعنى الكلمة عنده .
-ومضى الفلاسفة بعده يُعبِّر كل منهم عن وجهة نظر تختلف عن الأخرى ، فقد عبّر إنبادوقليس عن وجهة نظره في أن الشبيه يدرك الشبيه .

-وميز ديمقريطس بداية بين الموجود و بين ما هو محض فكر و ظن.
-و الطبيعيون الأولون و الفيثاغوريون كل هؤلاء تركزت عنايتهم في وصف الطبيعة و محاولة تفسير ظواهرها دون أن يثيروا الشك في الوسائل التي نستخدمها في معرفتنا لها.

-وقد ساهم السوفسطائيون بعد ذلك مساهمة قيمة وهامة في توسيع نطاق مناقشة المشكلة وعلى الأخص : جورجياس و بروتاجوراس ، فقد استطاع الأول بكتابه في الوجود أن يتيح لنا النظر نظرة عميقة إلى طريقة وضع مشكلة المعرفة في عصر السوفسطائيين .

وكان سقراط برده على حجج السوفسطائيين هو بحق أول من ميّز تمييزا فاصلا بين موضوع العقل و موضوع الحس بِيدَ أنَّ حَلَّ سقراط لمسألة المعرفة بقي ناقصا.

-وكان على أفلاطون استكماله ، فقدم فكرته الأصلية البسيطة التي تمثلت في أن هناك إلى جانب كلِّ شيء متغير شيء آخر خالد لا يأتي عليه تبدل و ينبغي أن تقوم عليه وحدة المعرفة و السلوك ، ومن ثم فلا علم إلا بالكلي الذي يظل دائما في ذاته باقيا على ذاتيته ، وبذلك ارتبطت نظرية أفلاطون في المعرفة بنظريته في الوجود وفي الأخلاق.

- أدى شغف أرسطو بالمعرفة أن انشغل انشغالا شديدا بالبحث في وسائل المعرفة الإنسانية ، ومدى ما يمكن أن نصل إليه من خلال هذه الوسائل .
-ومن ثم بحث فيما يمكن أن يؤديه العقل و وجد نفسه أنه قادر على أن يحلل ما تعطيه الحواس و يبني منه ما يسمى بالمعرفة الإنسانية فالإنسان هو العقل و يستدل ويقيس أساسا وليس هو فقط ما يستقرئ

-ولعل ذلك هو ما جعل أرسطو يركز اهتمامه على دراسة العقل و إمكاناته المعرفية من جانب و محاولته من جانب أخر وضع القوانين اللازمة لضبط التفكير العقلي حتى لا يبتعد العقل على المجال المعرفي الصحيح
- ومن هذا كان تأسيس أرسطو للمنطق و فصله عن بقية العلوم كما كان بحثه في نظرية المعرفة.

- و أرسطو لم يفصل دراسة المعرفة من حيث هدفها وقيمتها عن كل من الميتافيزيقيا و المنطق لجعلها علما نظريا خالصا فقد ظلت نظرية المعرفة عنده مختلطة بالمنطق و كانت قيمة العلم و طرق تحصيله يشكلان سويا موضوع دراسة واحدة.

الفلاسفة الغربيون :

-أما الفلاسفة الغربيون فقد كانت نظرية المعرفة مبثوثة لديهم في أبحاث الوجود إلى أن جاء جون لوك "١٦٣٢-١٧٠٤" فكتب " مقاله في الفهم الانساني "Essay Concerning Human Understanding المطبوع عام ١٦٩٠م ليكون أول محاولة لفهم المعرفة البشرية و تحليل الفكر الإنساني و عملياته "

-بينما سبقه بصورة غير مستقلة فرانسيس بيكون رائد المدرسة الحسية الواقعية.
-وإن كان قد سبقهم ديكارت في نظرية فطرية المعرفة. فديكارت رائد المدرسة العقلية المثالية ، الذي يقول بفطرية المعرفة. وبعد ذلك جاء كانط (كانت) (١٧٢٤ - ١٨٠٤م) فحدَّد طبيعة المعرفة و حدودها و علاقتها بالوجود. ثم جاءت محاولة فرييز في القرن التاسع عشر ففصل بحث المعرفة عن بحث الوجود .

-و يعتبر فرنسيس بيكون من المفكرين الأوائل الذين عملوا على إعادة النظر في مفهوم الحقيقة و المعرفة ، ولم يعد يتوصل إليها بالحدس و الإلهام أو بنوع من التجريد العقلي
-و يميز الفيلسوف برتراند راسل بين نوعين من المعرفة : المعرفة باللقاء أو الاتصال المباشر ، أي التي تُدرك بالحواس مباشرةً و المعرفة بالوصف ، أي التي تنطوي على استنتاجات عقلية .

نظرية المعرفة في التراث الإسلامي :

استوقف موضوع المعرفة و نظرية المعرفة علماء المسلمين ؛ فلاسفة و متكلمين ، و عقدوا أبوابا و فصولا ، بل كتبا في العلم و المعرفة : فالقاضي عبد الجبار المعتزلي (ت ٤١٥هـ) صنف مجلدا كبيرا ، من موسوعته (المغني) سماه (النظر و المعارف)، تحدث فيه بالتفصيل عن حد النظر و العلم و المعرفة و طرقها و حقيقتها ، و طرق معرفة صحة النظر ، و درجات المعرفة من الشك على الظن على اليقيو تحدث عن الدليل العقلي و السمعي ، و أول ما يجب على المكلف و طريق وجوب المعرفة ...

-ثم نجد الباقلاني (ت ٤٠٣هـ) يقدم لكتابه (التمهيد) بباب العلوم في (العلم و أقسامه و طرقه).
-ثم البغدادي (ت٤٢٩هـ) في كتابه (أصول الدين) جعل الأصل الأول منه معقودا على بيان الحقائق و إثباتها و طرق تحصيلها و أقسامها و الرازي أيضا جعل الركن الأول لكتابه (التحصيل) في العلم و النظر.

-كما أن الإيجي يجعل الموقف الأول في كتابه (المواقف) في العلم والنظر كذلك ،يجمع فيه آراء المدارس و يناقشها.
-و نجدها أيضا في مقالات الفرق ، ككتاب (مقالات الاسلاميين) للأشعري ، و (الفرق بين الفرق) للبغدادي ، و (المنقذ من الضلال) و (المستصفى) للغزالي. وكذلك في كتاب (التعريفات) للجرجاني. و نجد الكندي (يعقوب بن اسحاق) حاول ضبط العلم و المعرفة في مؤلفاته ، ومنها (رسالة في حدود الاشياء و رسومها).

-و أبو نصر الفارابي الذي تحدث عن العلم وحده و تقسيماته في (البرهان) وفي كتب أخرى. و ابن سينا الذي تناول الإدراك و العلم و اليقين في كتابه (الاشارات و التنبيهات) وفي غيرها من كتبه. و ابن رشد الذي سعى تمييز العلم الحقيقي من غيره في (تهافت التهافت).

-والآمدي في (الإحكام في أصول الأحكام) الذي تحدث فيه عن العلم و الكلي و الجزئي وغيره من المفاهيم .
-وهناك عدد كبير من علماء المسلمين من الأصوليين و الفقهاء و المتكلمين و الفلاسفة وغيرهم ممن تناول موضوعا أو أكثر من موضوعات المعرفة في كتبه.

-الملاحظ من خلال استعراضنا لتاريخ نشأة نظرية المعرفة أنها عند الفلاسفة الأقدمين ، كانت مبثوثة متفرقة ، في ثنايا أبحاث الوجود و القيم ، بل لم يكن يجمعها كتاب واحد أو دراسة منهجية مستقلة ، فقد كانت متضمنة مثلا عند أفلاطون في أبحاثه في الجدل ، وعند أرسطو في بحث ما وراء الطبيعة ، دون أن يميزوا بين موضوع المعرفة و موضوع (الميتافيزيقا)، إلا انهم بحثوا في أهم جوانب المعرفة.

-ولعل علماءنا المسلمين قد سبقوا غيرهم في إفراد بحث المعرفة بصورة مستقلة في كتبهم ، لأهمية هذا الموضوع بالنسبة لهم و علاقته بالوجو د، بينما لم يبدأ إفرادها عن الفلاسفة الغربيين إلا في القرن السابع عشر مع جون لوك.

مصدر المعرفة :

يختص هذا المبحث بدراسة الوسيلة أو الأداة أو المصدر الذي تتم عن طريقه تشكيل المعرفة الإنسانية ، عبر تحديد مصادر المعرفة (الأدوات المعرفية)، و تحديد الآليات التي تتيحها هذه المصادر للمعارف الكاشفة عن الواقع الموضوعي. وقد اختلف الفلاسفة في ذلك على مذاهب :

-فمنهم من ذهب إلى أن العقل هو المصدر الأول و الأساسي للمعرفة (وهؤلاء هم العقليون).

-ومنهم من ذهب إلى أن التجربة الحسية هي المصدر الأول و الأساسي للمعرفة (وهؤلاء هم التجريبيون). ومنهم من ذهب على أن الحدس و الإلهام هو المصدر الأول و الأساسي للمعرفة (وهؤلاء هم الحدسيون). ومنهم من جمع بينها و بين الوحي.

و الاختلاف في المصادر الأساسية للوصول إلى المعرفة ، لا يعني القول بإلغاء المصادر الأخرى في حال إثبات إحداها ، و إنما يعني القول بأن الأولوية في الثبوت هي لهذا المصدر أو ذاك.

المذهب العقلي (Rationalism):

تتمثل مصدرية العقل للمعرفة عند العقليين في صورتين:

أ. هي التي يستغني فيها العقل لتحصيل المعرفة عن أي شيء سواه، من خلال استنباط قضايا جديدة من قضايا سابقة معلومة ، بقطع النظر عن الوجود الخارجي.

ب. هي التي تفسر مصدرية العقل للمعرفة برد الحكم على الأشياء إلى مبادئ العقل الفطرية ، فمادة المعرفة تكون من الإدراكات الحسية ، ولكنها لا تكون معرفة علمية إلا بالاحتكام إلى العقل الذي يجعلونه مصدرا لها ، وهذه المعرفة تنقسم عندهم إلى معرفة بديهية أو ضرورية تضطر النفس إلى الإذعان لها و التسليم بها دون الحاجة على النظر والاستدلال و إلى معرفة نظرية تحتاج إلى نظر و استدلال.

المذهب التجريبي (Empiricism) :

هو مذهب يقول إن الخبرة مصدر المعرفة وليس العقل و التجربة بهذا المعنى نقيض الفلسفة العقلية التي تفترض أن هناك أفكارا لا يمكن أن تزودنا بها الحواس و ينشئها العقل بمعزل عن الخبرة ، وتسمى لذلك معرفة فطرية أو قبلية. و برزت التجربة على يد جون لوك و باركلي و ديفيد هيوم و ستيوارت مل ثم تجسدت في الوضعية المنطقية و الظاهراتية و التجريبية أو الحسية هي: (الاسم النوعي لكل المذاهب لافلسفية التي تنفي وجود معارف أولية بوضفها مبادئ معرفية).

و يقوم المذهب التجريبي في المعرفة على أساس أن التجربة هي المصدر الأول لجميع المعارف الإنسانية ، و أن الحواس وحدها هي أبواب المعرفة ، فليس في العقل شيء لم يمر بالحس أولا ، و ينكر التجريبيون أن يولد العقل مزودا بأفكار فطرية كما يزعم العقليون .

المذهب الحدسي (Intuitionism):

وهو مذهب من يرى أن للحدس المكان الأول في تكوين المعرفة ، ولهذه الحدسية معنيان :

أ. إطلاقها على المذاهب التي تقرر أن المعرفة تستند إلى الحدس العقلي.
ب. إطلاقها على المذاهب التي تقرر أن إدراك وجود الحقائق المادية هو إدراك حدسي مباشر، وليس إدراكا نظريا.

و الحدس عند ديكارت: (الاطلاع العقلي المباشر على الحقائق البدهية). وعند كانت: (الاطلاع المباشر على معنى حاضر بالذهن من حيث هو حقيقة جزئية مفردة). وعند هنري بوانكريه هو: (الحكم السريع المؤكد أو التنبؤ الغريزي بالوقائع و العلاقات المجردة ، وهو الذي يكشف لنا عن العلاقات الخفية). و تعتبر الأفلاطونية المحدثة المنسوبة إلى أفلوطين رائدة الفكر الحدسي في المعرفة ، فالمعرفة عندهم قائمة على الفيض و الإشراق ، ولا يمكن للإنسان أن يصل على المعرفة الحقة غلا عن طريق مداومة التأمل و رياضة النفس. و أفضل من يمثل المذهب الحدسي الفيلسوف الفرنسي هنري برجسون ، وقد جعل برجسون الحدس هو مصدر المعرفة الحقيقي للواقع . وهو اقرب للكشف الصوفي .

و إذا كان برجسون تبنى الحدس و جعله مصدرا للمعرفة الحقيقية للواقع في الفلسفة الغربية فإن متصوفة المسلمين قد تبنوا الإلهام مصدرا للمعرفة و سبقوا بذلك فلاسفة الغرب في تبنيهم للحدس .

ذهب برجسون إلى أنه بالإضافة إلى العقل الذي توهّم أنصاره أنه يقدم لنا المعرفة برمتها توجد ملكة أخرى للمعرفة ؛ وهي من قبيل التجربة الوجدانية ، سماها الحدس Intuition يقصد بالحدس عدة معانٍ متباينة :

الحدس الحسي : هو الإدراك المباشر عن طريق الحواس الإنسانية ، مثل إدراك الضوء و الروائح المختلفة.
الحدس التجريبي : الإدراك المباشر الناشئ عن طريق الممارسة المستمرة ، مثل إدراك الطبيب لداء المريض من مجرد المشاهدة .
الحدس العقلي : الإدراك المباشر- دون براهين- للمعاني العقلية المجردة التي لا يمكن إجراء تجارب عملية عليها، مثل إدراك الزمان و المكان .
الحدس التنبؤي : يحدث أحيانًا في الاكتشافات العلمية أن تكون نتيجة لمحة تطرأ على ذهن العالم بعد طول التجارب .

المذهب البراغماتي (Pragmatism) :

تطلق الفلسفة البراجماتية على مجموعة من الفلسفات المتباينة إلى حد ما ، و التي ترتكز جميعها على مبدأ مؤداه أن صحة الفكر تعتمد على ما يؤدي إليه من نتائج عملية ناجحة ، وكان الفيلسوف الأمريكي "تشارلز ساندرز بيرس" هو أول من استخدم اسم البراجماتية وصاغ هذه الفلسفة. و البراغماتية (الذرائعية) مذهب فلسفي يرى أن معيار صدق الأفكار هو في عواقبها العملية ، فالحقيقة تعرف من نجاحها. و يفسر النجاح بصورتين :

١- النجاح بمعنى المنفعة الشخصية ضمن نظام معين ، فتكون الكذبة الناجحة حقيقة ، وفي ظل هذه الصورة تتخذ الذرائعية مظهر السفسطة.
٢- النجاح بمعنى التطبيق العملي و العلمي الذي يتوافق مع قوانين الطبيعة ، فنقر بحقيقة قانون أو نظرية إذا حقق تطبيقات عملية ، وبهذا المعنى تقترب البراغماتية من العقلانية.

ومن الفلاسفة الذين أذاعوا صيت المذهب البراغماتي الفيلسوف الأمريكي وليم جيمس. يقول جيمس: "الحق يقوم فيما هو مفيد (نافع) للفكر، كما أن العدل يقوم فيما هو نافع للسلوك، و أقصد بمفيد أنه: مفيد بأية طريقة ، مفيد في نهاية الأمر في المجموع ، لأن ما هو مفيد للتجربة المقصودة الآن لن يكون كذلك بالضرورة وبنفس الدرجة بالنسبة إلى تجارب لاحقة.

موقع الوحي من مصادر المعرفة :

دأب دارسو نظرية المعرفة ـ فلسفياً أو علمياً ـ على حصر مصادرها في (الحس و العقل)، وكان هذا لأنهم استبعدوا الفكر الديني أو المعرفة الدينية من مجال دراساتهم. و لأنّا نؤمن بالدين الإلهي تتربع المصادر لدينا كالتالي: (الوحي و العقل و الحس و الإلهام أو الحدس).

إنّ المعنى الاصطلاحي الوحي هو ما يلقيه الله إلى أحد أنبيائه و رسله ، و نجد أنّ الوحي ينقسم إلى قسمين هما :القرآن و السنة.

أولا: ضرورة الوحي : و تتجلى ضرورة الوحي مصدرا للمعرفة في ما يلي :

- أن الوحي ممكن في نظر العقل: لأن العقل ذاته يسلم بأنه محدود بعالم الشهادة و قوانينها ، ولا يستطيع إنكار ميدان آخر وطريق آخر للمعرفة ، كما ان العقل من خلال قوانينه يحكم بوجود عالم الغيب.
- لا كفاية في العقل : لأن العقول قاصرة عن إدراك مختلف جوانب و مجالات الحياة و الكون.

ثانيا: الحاجة للوحي : الحاجة إلى الوحي في الاعتقاد. الحاجة على الوحي في التشريع النبوة فيها حجة على الخلق.

إمكان المعرفة :

السؤال عن إمكان المعرفة هو سؤال عن جوهر المعرفة و مضمونها ، وهو الحقيقة - أي هل يمكننا أن ندرك الحقيقة؟ وهل المعرفة ممكنة؟ وهل في وسع الإنسان أن يعرف شيئا؟

و كان أول من بدأ البحث في مسألة إمكان المعرفة هم الفلاسفة اليونان و تحديدا الذين عرفوا بالسفسطائيين أو الشكاك. و هؤلاء الفلاسفة كانوا ينكرون قطعية المعارف الانسانية.
أما فلاسفة المسلمين و متكلموهم فقد بحثوا في إمكانية المعرفة ، وقد جعلوا مداخل كتبهم في العلم وفي إثبات العلم و الحقائق

ويمكن تحديد ثلاثة اتجاهات أساسية عند الحديث عن مسألة إمكان المعرفة :

١. فريق شك شكا مطلقا في إمكان المعرفة.
٢. فريق يرى يقينية المعرفة ، وهم الاعتقاديون أو الدغمائيون.
٣. فريق ثالث يرى أنه بإمكان الانسان أن يصل على معرفة متناسبة مع قدراته الحسية و العقلية ، وهم النسبيون.

سؤال طبيعة المعرفة :

شغل السؤال عن طبيعة المعرفة الإنسانية و حقيقتها العديد من الفلاسفة و الباحثين ، و حاولوا الإجابة عنه بطرق مختلفة ، وذلك لبيان كيفية العلم بالأشياء ، أي كيفية اتصال القوى المدركة لدى الإنسان بموضوعات الإدراك ، و علاقة كل منهما بالأخر.

فهل المعرفة في النهاية ذات طبيعة مثالية؟ أم ذات طبيعة واقعية؟ أم ذات طبيعة عملية؟ وهنا انقسم الفلاسفة و الباحثون في مسألة طبيعة المعرفة إلى ثلاثة أقسام ، هي: المذهب المثالي و المذهب الواقعي و المذهب العملي (البراغماتي).
-نلاحظ أن المذاهب الثلاثة السابقة ركزت على جانب و أهملت جانبا آخر، لأنها نظرت بطريقة تجيزئية للإنسان (العارف) و لموضوع المعرفة ، ولو تأملنا القرآن لوجدناه يقرر أن للأشياء وجودا واقعيا مستقلا عما في الذهن البشري، أدركه الإنسان أم عجز عن إدراكه ، وعدم إدراك الإنسان لبعض الأشياء لا يقتضي عدمها. أي أنه ليس كل موجود يمكن معرفته ، فهناك من الموجودات ما لا سبيل لوسائل المعرفة الإنسانية إلى معرفتها ، فما هو موجود لا يتعلق وجوده بمعرفة الإنسان له أو عدمها ، فالموجودات أكبر من أن يلم بها أو يحصيها أو يدركها العقل البشري. (وما أوتيتم من العلم إلا قليلا).

ولها فإن طبيعة المعرفة عندما نتأمل القرآن نجد أن المعارف ثلاثة أنواع :

١- هناك ما هو فطري ٢- علم النبوة ٣- المعارف الاكتسابية.

- ثم أن طبيعة المعرفة تقتضي ميداناً لدراستها وهذا الميدان- وبحسب نصوص القرآن الكريم - اما أن يكون في عالم الغيب و اما أن يكون في عالم الشهادة و طبيعي أن البحث في عالم الغيب محدود، إذ أعفي الإنسان من الدخول في تفاصيله بحسبان ذلك خارجاً عن نطاق طرائق المعرفة لديه من حس وعقل على وجه التحديد ، و يبقى أمامه مصدر الوحي و طريقته ما دام واثقاً من أحقيته في ذلك أما عالم الشهادة فهو الميدان الحقيقي للبحث

مناهج المعرفة :

وعرف المنهج علميا بأكثر من تعريف، منها:

١ - (خطوات منظمة يتخذها الباحث لمعالجة مسألة أو أكثر و يتتبعها للوصول إلى نتيجة).

٢ - (وسيلة محددة توصل إلى غاية معينة).

٣ - (طائفة من القواعد العامة المصوغة من أجل الوصول إلى الحقيقة في العلم).

٤ - (الطريق المؤدي إلى الكشف عن الحقيقة في العلوم بواسطة طائفة من القواعد العامة تهيمن على سير العقل و تحدد عملياته حتى يصل إلى نتيجة معلومة).

و نخلص من هذه التعريفات إلى أن: المنهج : مجموعة من القواعد العامة يعتمدها الباحث في تنظيم ما لديه من أفكار أو معلومات من أجل أن توصله إلى النتيجة المطلوبة. و باختصار: المنهج : طريقة البحث.

أقسام المنهج : يقسم المنهج إلى أقسام عديدة ، من بينها: المنهج النقلي و المنهج العقلي و الحسي ...ألخ. ومن المناهج التي درسناها في مقررنا: منهج المنطق الصوري و منهج المنطق الرمزي و المنهج الجدلي و المنهج الإشراقي و المنهج التجريبي .

المنهج الجدلي قوانينه و مبادئه :

يقصد بهذه القوانين مجموعة من القواعد و المفاهيم العلمية المترابطة في بناء هيكل الدياليكتيك كمنهج بحث علمي ، ومن أهم هذه القوانين: قانون تحول التبدلات الكمية إلى تبدلات نوعية ثم قانون وحدة و صراع الأضداد و أخيرا قانون نفي النفي.

١. قانون تحول التبدلات الكمية إلى تبدلات نوعية :
٢. قانون وحدة وصراع الأضداد و المتناقضات :
٣. قانون نفي النفي :

فالمنهج الجدلي وكما تمت الإشارة إليه يرتكز على ثلاثة عناصر: الطرح و الطرح المضاد ثم التركيب،ذ من خلالها يمكننا أن نستشف خصائص هذا المنهج.

و حسب تصنيفات المناهج و أنواعها ، يعتبر المنهج الجدلي من المناهج الفلسفية العامة و يؤكد ذلك أن جل دارسي هذا المنهج يربطونه بالدراسات الفلسفية حيث أن هناك من ينعته بأنه تيار فلسفي مضاد للتيار الميتافيزيقي و يقوم على قصور مختلف الأشياء و الأفكار و الكون ويلجأ إلى منطق خاص وهو المنطق الجدلي الذي يؤكد على مبدأ التطور الذاتي للأشياء.

المنهج التجريبي :

أ ـ الاتجاه التجريبي و نظرية المعرفة :

-التجريبية المثالية : Idealism التي تحصر التجربة بالواقع الذاتي؛ أي الأحاسيس و التصورات ، نافية أن يكون الواقع الموضوعي مصدراً للتجربة. و يعد الفيلسوف هيوم ، واحداً من أبرز ممثلي هذا الاتجاه في نظرية المعرفة،

ـ التجريبية المادية : Materialism و تعتمد التجربة بمعناها الواسع ، فتصير هذه التجربة أساس المعرفة و مصدرها الوحيد. و يعد الفيلسوف لوك Luck ، أحد أبرز ممثلي التجريبية المادية ، وهو أول من أفرد مبحثاً متكاملاً من نظرية المعرفة ضمن هذا الإطار.

ـ التجريبية المنطقية : Positive Empiricism وقد حاول أتباعها التأكيد أن الفلسفة عدوة العلم و أن المعرفة العلمية تصدر عن الخبرة الحسية الذاتية ، فمعرفتي المباشرة بلون الطاولة و شكلها و صلابتها و نعومتها مرتبطة بوجودها أمامي و معرفتي بالزهرة مرهونة بمدى إحساسي أنا برائحتها. وقد لمع في هذا الاتجاه الفيلسوف و المنطقي النمساوي كارناب Carnap

ب ـ الاتجاه التجريبي في البحث الاجتماعي :

يشكل مبدأ التحقق ومبدأ الإجرائية الذي يردّ المعرفة إلى جملة إجراءات (عمليات) يقوم بها الباحث في أثناء نشاطه العلمي ، الأساس المعرفي للاتجاه التجـريبي (الامبريقي) في البحث الاجتماعي.

و يستخدم الاتجاه التجريبي في علم الاجتماع وسائل عديدة لدراسة المجتمع مثل الملاحظة و المقابلة و الاستمارة و الوثائق الشخصية ، كالرسائل و السير الذاتية ، إضافة إلى المعامِلات الإحصائية المختلفـة لمعالجة البيانـات التي تجمع مـن الميدان.

خطوات البحث التجريبي :

تتلخص خطوات البحث التجريبي في النقاط التالية :

- الشعور بالمشكلة .
- مراجعة الدراسات السابقة للتحقق من عدم دراسة المشكلة سابقاً و للتعرف على نتائج الدراسات ذات العلاقة .
- تحديد و تعريف المشكلة التي سيتم دراستها .
- وضع الأسئلة و الفرضيات المناسبة .
- تعريف المصطلحات .
- تصميم منهجية البحث بتحديد أفراد العينات و المجموعات المستقلة و الضابطة و المقاييس و المصادر و الاختبارات المطلوبة .
- جمع البيانات و إجراء التجارب المطلوبة .
- تحليل وتفسير البيانات و عرض النتائج و تقرير قبول الفرضيات أو رفضها .
-عرض النتائج النهائية في صيغه تقرير لأغراض النشر .

أشهر أعلامها و الاتجاهات الحديثة فيها :

- أشهر أعلامها :

ابن سينا و ابن عربي و الغزالي و ابن رشد و كانط و باشلار

-الاتجاهات المعاصرة في نظرية المعرفة :

الوضعية المنطقية
الظاهراتية
إسلامية المعرفة

دعواااتكم .. ابتهالينو